تأريخ

الإمارة البابانية

لمؤلفه

حسين ناظم بيگ

ترجمة

شكور مصطفى و محمد الملا عبدالكريم المدرس

الطبعة الأولى - هەولێر

2001

الناشر : مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر
كوردستان/ أربيل ت . (٢٢٢٩٩٩٢)

e.mail:mukriani@yahoo.com

- التسلسل: (٩٤)
- الكتاب: تأريخ الأمارة البابانية
- تأليف: حسين ناظم بيگ
- ترجمة: شكور مصطفى و محمد الملا عبدالكريم المدرس
- الاخراج الفني للغلاف والمتن: قاسم قادر
- فهرست:أحمد تاقانه
- الطبعة الاولى: ٢٠٠١
- رقم الايداع: (٥١٧) لسنة ٢٠٠١
- مطبعة: وزارة التربية/ اربيل

فهرست

مقدمة لابدمنها 5
مدخل إلى الإمارات الكردية
الكرد منذ ٣٠٠٠ سنة ق.م حتى ٦.م..... 9
تمهيد 55
عهد إمارة خان بداق 60
صورة والوثيقة 61
إمارة مير سليمان بن خان بداق 65
عهد إمارة تيمور خان بيگ 75
عهد إمارة بكر بيگ 76
عهد المتسلم 77
حكومة خالد باشا 94
عهد حكومة سليم بيگ..... 103
عهد حكومة سليمان باشا 105
المعروف بالمقتول 105
حكومة محمد باشا بن خالد باشا..... 121
عهد حكومة إبراهيم بيگ 159
آيام إدارة عثمان باشا..... 163
حكومة إبراهيم باشا الثانية..... 167
حكومة عبدالرحمن باشا الأولى 169
حكومة إبراهيم باشا الثالثة..... 171
الدَّورة الأولى لحكم عبدالرحمن باشا..... 190
الدَّورة الثانية لحكم عبدالرحمن باشا 221
آيام حكومة أحمد باشا 340

مقدمة لابد منها

محمد الملا عبدالكريم

لهذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي قراء العربية والقراء العرب منهم بخاصة، قصة. فقد أودع مخطوطته التركية لديّ، في ظروف بالغة الصعوبة، صديق عزيز عليّ لأحتفظ به بدلاً منه، ولم يسأل عنها بعد ذلك وحتى اليوم. وقد تحدثت عن هذه المخطوطة، بعد ما تأكدت من مضمونها، إلى زميلي العزيز وأستاذي الكريم الأستاذ شكور مصطفى عبدالله الضليع في اللغتين العربية والتركية، كما هو في لغته الأم: الكردية، وطرحت عليه فكرة مطالعتها وترجمتها إلى العربية أو الكردية، إذا ما رأها قمينة بذلك. ولم يمض طويل وقت على ذلك حتى أجابني، مشكورا، بالاستجابة لما اقترحته عليه، مؤجِّلا، في الوقت نفسه، الشروع بالعمل ريثما يتفرغ من بعض المشاريع الأدبية التي كان منشغلا بها، ثم يعكف على الترجمة. كان ذلك في أواخر السبعينيات من القرن الماضي. وفي أوائل الثمانينيات باشر الأستاذ عمله، ولكن بطريقة ربما لم يسبقه إليها غيره، تلك الطريقة التي جعلت مني أيضا، وأنا الجاهل لمفردات من اللغة التركية لاتتعدى أصابع اليد الواحدة، ثاني مترجمين للكتاب بعده. كان يترجمه إلى لغة غير ذات هوية محددة، فلا كانت كردية، ولا كانت عربية، ولا كانت فارسية بالتمام، بل شيئا من هذه، وأخرى من تلك، وقليلاً من الثالثة.

أما لِمَ كان ينحو هذا النَّحو، فنزولاً عند رغبتي الَّتي طالما ساورتني في أن أشاركه أو يشاركني في عمل أدبي جادٍّ يقترن فيه اسمانا للذكرى. ولكي يبرِّر لي دخلي في الأمر وموقعي في العمل، وأنا – كما أسلفت – أجهل التركية، كان يتعمد هذا الأسلوب إمعاناً في أن يكون لي سهم في هذا العمل، وإلا فما كان أجدر بأن يتفرد بترجمته من دوني ابتداءً من دون هذا اللَّف والدوران فأراح نفسه وأراحني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ المخطوطة النادرة لم تكن لتتوافر عند غيري وكان من

الطبيعي أن يكون لي فيه سهم معنوي؛ وعليه فقد ترتب عليّ أن أقرأ بشق الأنفس، فصلا فصلا، ما يكتبه المترجم بأي من اللغات الثلاث، قافزا في رمشة عين إلى أخرى منها، وأبدأ بصوغه إلى العربية، ثم أتلو ماكتبته على مسامعه، وهو يمسك بين يديه النص التركي يتابعه جملة جملة ويقارن في نفسه بين النصين، تلافيا لما يكون قد حدث منه من طفرة في الترجمة أو خطأ منا في نقلها إلى العربية. وهكذا سرنا بالعمل مدة أكملنا منه خلالها ما يقارب ربع الكتاب، ثم حدث ما استوجب التوقف، وتغيرت بعض الأوضاع بالنسبة إلينا، فلم نعد إلى اكمال ما بدأنا إلا في سني التسعينيات حيث انتهجنا من جديد النهج الغريب السابق نفسه. واكتمل العمل وتم تبييض الترجمة النهائية قبل أن يرحل المترجم إلى أربيل ويستقر فيها عضوا في المجمع العلمي الكردستاني. وكان من المقرر أن أكون معه أيضا، الا أن الظروف الصحية السيئة لوالدي الطاعن في السن، مد الله في عمره، حال دون أن يتحقق ما كان مقررا بيننا، فانفصلنا عن بعضنا، وبقيت الترجمة مخطوطة مبيضة في حوزتي.

وطوال السنوات الماضية من رحيله حتى الآونة الأخيرة، التي عكف فيها المترجم على الإنتاج والإبداع فيه تأليفا وترجمة، فأخرج العديد من المؤلفات والمترجمات القيمة، أعلن أكثر من مرة عن هذا الكتاب أنه ينوي تقديمه الى المطابع، وكان يرسل إليّ الرسائل الواحدة تلو الأخرى، طالبا مني إرسال المخطوطة إليه لطبعها، وكنت أتماطل في كل مرة وأتمنع من تحقيق طلبه، وما كان قصدي، شهد الله، إلا أن تتسنى لي الظروف الملائمة لأكون إلى جانبه شهرا أو يزيد، نعيد النظر خلاله مرة أخرى في ترجمة الكتاب بالمطابقة بين النص التركي والترجمة العربية دفعا لإحتمال أن يكون قد فاتنا في المرة الأولى سهو أو خطأ، وجل من لايسهو ولا يخطيء، ثم نقارن الكتاب ببعض المصادر التي تتضمن موضوعه نفسه، بغية تثبيت ما قد يكون هناك من اختلافات في الأحداث. وقد أعددت بالفعل بعض المراجع اللازمة لهذا الغرض. ولكنني، بعد أن أصبت في الآونة الاخيرة بمرض فقدان التوازن الذي غدا يداهمني أكثر من مرة في الأسبوع فيجعلني طريح الفراش ساعات طوالا مغمض العين دونما قيام أو قعود، تدور بي الدوائر وكأنني قشة في مهب الريح، أمسيت على يقين من أن تحقيق ما كان يدور في خاطري بشأن هذا الكتاب بات من المستحيل بالنسبة إليّ إذا ما ظل الحال على هذا المنوال، لاسيما وأنا مشغول من جهة أخرى في الأيام التي يفك فيها المرض طوقه عني بالاشراف على طبع تفسير القرآن الكريم باللغة الكردية لوالدي، مما

يتطلب مني أشهرا عدة أخرى على أقل تقدير، فضلا عن وجود عدد من المشاريع الأدبية غير المنجزة لدي كإكمال شرح كشكول محمود باشا الجاف ووضع ديوان الشاعر سالم الذي اشترك في شرحه والدي وأخي المغفور له فاتح في صياغته الأخيرة وغير ذلك. فلم أر من الجائز أن أبقي مخطوطة الترجمة العربية في حوزتي وقررت تسليمها إلى المترجم صديقي الأستاذ شكور مصطفى عبدالله، لاسيما وقد علمت أنه الآن يعكف على ترجمة مخطوطة أخرى من التركية إلى العربية هي الجزء الثاني من (ذيل گلشن خلفا) (دوحة الوزراء) للشيخ رسول الحاوي الكركوكي الكردي السنندجي الأصل، وفي هذه المخطوطة مواد كثيرة تتعلق بالإمارة البابانية مما يتيح للأستاذ شكور أن يقارن بين مايرد في المخطوطتين عن الحدث الواحد من أحداث هذه الإمارة، للإشارة إلى ما قد يكون بينهما من إختلاف في الرواية.

وختاماً أود أن أبين أن المخطوطة التركية لكتابنا هذا لا تتضمن أي اسم له وأي ذكر لمؤلفه، مما يبقي مسألة معرفة صاحبه سراً غامضاً إلى أن تظهر له نسخة أخرى معنونة ومنسوبة فنتأكد من مطابقة مضمونيهما من اسم كتابنا وهوية مؤلفه جزاه الله خير الجزاء عن الكرد وكردستان وعن التأريخ وعن إمارة بابان التي عاشت وعانت مآسي الصراع العثماني - الإيراني المرير الذي ألحق الكثير من الأذى بشعبنا الكردي المضام. هذا ومما لايدعى الإشارة إليه أن الآستاذ شكور اقترح علي في آخر لقاء معه في أربيل قبل شهرين أن نعنون الكتاب باسم صاحبه (حسين ناظم بيگ) مستدلاً بسند خطي ورد نصاً في كتاب الكرد وكردستان لمؤلفه الخالد الذكر محمد أمين زكي بك المؤرخ الكردي المعروف، حيث يذكر أنه نقل موضوع قطع أشجار الجوز للهورامیين بأمر من محمود باشا بابان، من «دفتر حسين ناظم بيگ» إلا أني لم استصوب اقتراحه. ولكن عثر على دليل (٣) خطي في كتاب «الكرد وكردستان» لمؤلفه الخالد الذكر محمد أمين زكي بك يشير بصراحة إلى أنه نقل خبر حادث قطع أشجار جوز الهورامیين أيام محمود باشا بابان من دفتر السيد حسين ناظم بگ وهو غير الدفتر الذي نقله المرحوم محمد جميل الروژبياني بوصفه دفتراً هو الآخر لحسين ناظم ... ولكن ثمة شخصيتان بهذا الأسم ؛ حسين ناظم بگ الكبير وحسين ناظم آخر.

مدخل إلى الإمارات الكردية
الكرد منذ ٣٠٠٠ سنة ق.م حتى ٦٠م

شكور مصطفى

استئناساً برأي باسيل نيكيتين، لامندوحة من طرح السؤال الآتي: ما المعيار الحقيقي لتعرف هوية شعب اختلط حابله بنابله في خضم بحر متلاطم من الأعراق البشرية التي يظهر بعضها ويطمس بعضها الآخر تحت أسماء مختلفة حيناً أو متشابهة حيناً آخر في منطقة جغرافية مهمة مثل كردستان الواقعة في آسيا الأمامية؟ هل هو الاستدلال باسمه على حقيقة مسماه؟ أم هل هو الاستدلال بلغته، من أصوات حروفها وصرفها ونحوها مقارنة بغيرها من اللغات؟ أم هل هو الاستدلال بشكل الجمجمة على أنموذج قياسي للتحقق من أصل عرقه في مرحلة زمنية من التأريخ؟ وما بالك أن كل شيء من أسماء ولغات وخصائص عرقية بايولوجية وعادات وتقاليد ومؤسسات اجتماعية كلها في صيرورة دائمة يصعب معها الإمساك برأس الضفيرة حتى ينتهي إلى آخر الخيط؟ ومع ذلك، فإن الخوض من خلال كل هذه التحفظات على حد قول نيكيتين في البحث عن جذور الكرد إنما جرى عن مجموعة دراسات فتح طريقها اكسنفون في كلامه على بلاد (كار-داكا) وبعد قراءة لوحتين سومريتين أيضاً يعود تاريخهما إلى ٢٠٠٠ سنة ق.م[١] متاخماً لطائفة «سو» الواقع موطنها جنوبي بحيرة وان. وقد ذكر شرفخان البدليسي في كتابه الشرفنامة وجود قلعة باسم «سو» في منطقة بدليس. وبعد ١٠٠٠سنة من هذه الكتابات الأثرية اشتبك تغلات بلسر Tiglat Pileser في قتال مع قوم كورتي Kurti-e في جبال آزو (منطقة حزو- ساسون Haro Sason -. وفي «آنا باسيس» لإكسنفون (٤٤١ ق.م) وكتابات سترابون معلومات عن موطن الكرد وهو موش وديابكر كما ذكر سترابون. وفي شهنامة الفردوسي قصة «ضحاك- استباك- أژدهاك» المعروف بـ«ماردوش» ذي الثعبانين الذي اعتلى عرشي ايران وتوران والذي جاء بعد جمشيد، وأصيب بمرض الطاعون أو كما تروي القصة

بأسلوب رومانطيقي ببروز ثعبانين على كتفيه؟ فنصحه أطباؤه بإطعام الثعبانين من مخ البشر ليهدأ فيستريح هو. فأمر بذبح شابين كل يوم وإطعام الثعبانين من مخيهما. إلا أن وزراء ضحاك الإنسانيين استبدلوا بشاب منهما خروفاً فأطلقوا سراح الشاب على أن يترك وطنه. فلجأ كل ناجٍ منهما الى فلل الجبال، فتناسلوا هناك وأقاموا لهم أسراً، ومن هنا بدأ منشأ الكرد. واتخذ كثير من المؤرخين هذه الأسطورة، ومنهم شرفخان البدليسي أساساً لمنشأ الكرد (٧٦، ١٢، ١٠٣، ٤٤٩) حتى إن بعض المتأخرين منهم تعزيزاً لهذه الرواية يذكرون أن أهل دماوند يحتفلون في ٣١ آب من كل سنة لمناسبة التخلص من ظلم ضحاك ويسمون احتفالهم «العيد الكردي» (٩٧، ١٠، ٦٩، ١١٦)[٢].

يجمع المؤرخون على أن الكرد منذ أقدم الأزمنة كانوا يعيشون في البقعة المسماة (كاردو) في جبال زاغروس، ويشتغلون بتربية الماشية والزراعة. وان اسم الكرد المشتق من (كاردو) معناه البطل. وقد صنف الشرفنامة الكرد أربعة أصناف يختلف بعضها عن بعض من الناحية اللغوية- اللهجوية:

١- الكرمانج
٢- اللر
٣- الكلهر
٤- الگوران

ويصفهم المؤلف بأنهم شجعان، غير هيابين، أسخياء، كرماء، متمسكون بتأدية حقوق الوالدين، محبو الضيوف، عارفون قدر الزاد والملح، أوفياء، صادقون (٦٧، ١٣، ١٥)[٣] كما يذكر آخرون أنهم ذو مروءة ونخوة،إنسانيون، ولكنهم عنيدون أشداء ضد أعدائهم. والكرد على دين الإسلام، وأغلبهم شوافع وبعضهم شيعة إماميون، وبعضهم علويون وبعضهم أهل الحق (العلي اللهية) كالكاكائية والسنجاوية والقلخانية والگوران وسكان حوض كرمانشاه والقرى المحيطة بهشت گرد وقزوين وبومهن ورامين.وهم من الغلاة، وديانتهم خليط من الاسلام والزرادشتية والمثرائية والمانوية واليهودية والمسيحية واليزيدية (الباسيان، البختي، الداسني، الخالدي، الدمبلي والأنقوسي)، وهم يكنون كرهاً شديداً لذوي الأديان والنحل الأخرى[٤].

وعلى الرغم من أن المورخين العرب والإيرانيين ذكروا اسم الوطن الكردي باسماء

مختلفة إلا أننا لا نصادف مثل هذه الأسماء في المصادر المتأخرة. اقترن اسم كردستان في انتشاره على نطاق واسع ورسمي حين أقام السلطان سنجر السلجوقي العام ١١٥٩-١١٦١ ولاية «بهار» في كردستان وولي عليها آخاه السلطان سليمان السلجوقي حاكما لها (١١٧ ,٥)[٥]، ويذكر ان المورخ الإيراني حمداله المستوفي القزويني هو أول من أشار إلى هذا في كتابه «نزهة القلوب» عند ذكر جغرافية كردستان الذي الفه العام ١٣٣٩-١٣٤٠ (٦٣ ,١٢٧ ,١٢٩)[٦].

يحدد الشرفنامة الموقع الجغرافي لكردستان بأنها تبدأ من مضيق هرمز الواقع في ساحل بحر الهند وتمتد في خط مستقيم حتى ولايتي مرعش وملاطية. ويحدها شمالاً قارص وعراق العجم وآذربيجان وأرمينية وجنوباً دياربكر والموصل والعراق العربي (٧٦-١٣-١٤-٤٤٩)[٧]. أما أوليا چلبي (١٦٤٦) فيذكر في كتابه «رحلة اوليا چلبي» أنها يحدها شمالاً أرضروم ويتصل بعضها بالبعض الآخر جنوباً عند البصرة وخليج فارس (٤٨ ,١٥ ,٥٠ ,١٠١)[٨]. ويذكر الجغرافي الإيراني المعاصر علي رزم آرا أن كردستان حسب وحدة المنشأ لشعبها منطقة كبيرة يبلغ طولها ١٠٠٠كم وعرضها ٤٠٠كم (٩٣ ,٤)[٩].

أما الباحثون المتأخرون فهم لايختلفون فيما يخص حدود كردستان الجغرافية عن الباحثين السابقين اختلافاً كبيراً. فإن كردستان حسب موقعها الجغرافي بلاد جميلة تقع على إحدى الطرق التجارية والستراتيجية المهمة. حتى إن المدن المركزية مثل إسطنبول وتبريز وبغداد وطهران وبين النهرين وغيرها إنما كان مرتبطا بعضها بالبعض الآخر من طريق كردستان. وحسب فون هامر أن الاستيلاء على طرق كردستان وأرمينية من قبل تيمورلنك العام ١٣٩٤ لم يتم إلا باحتلال گرجستان وأرمينية (٩٩). ولهذا بقي الشعب الكردي عرضة لهجمات المحتلين الذين لم ينقطع دابرهم على مر العصور.

لقد كتب علي رزم آرا، إن كردستان في عهد الحروب بين إيران والروم (بيزنطية) كانت سداً منيعاً أمام العدو وعاملا مهماً لاندحار الروم وهزيمتهم. ولتكرر هذا الوضع أيام اجتياح العرب، فقد اضطر الغزاة إلى التقهقر من الشمال إلى الجنوب (٩٣ ,٨)، وقد ذاق الكرد من مرارة الأذى والعذاب على أيدي المحتلين العرب مالم يذق شعب نسبياً من شعوب الشرق. يذكر ابن الأثير: «عندما تم احتلال كردستان العام (١٦هـ/٦٣٧م) من قبل العرب تواصلت تمردات الكرد، وإن أسلموا ظاهرا في

الولايات، ضد المحتلين زمناً طويلاً (٤٥ ,٢٢١ ,٢٢٩). حتى إن وجود عائلة كردية في مدينة أو قرية كان يكفي لاتخاذه ذريعة من قبل المحتلين لاحتلالها ونهبها[١٠].

وذكر المؤرخون أنه بعد احتلال آذربيجان من قبل العرب دفع مرزبان آذربيجان القاطن في مدينة أردبيل مبالغ طائلة الى المحتلين للحيلولة دون قتل الألوف من الكرد جماعياً هناك. وقول الشاعر الإنساني ، حافظ الشيرازي الذي أثارت حفيظته مشاهد القتل الجماعي للناس:

مزن دم زحكمت كه در وقت مرگ أرسطو دهد جان چو بيچاره كرد

وترجمته: «لاتتحدث عن الفلسفة حين حضور الموت، فإن أرسطو ليس له إلا أن يسلم الروح، كما يسلم الكردي المسكين روحه». ليس سوى صرخة في وجه قتلة الكرد طوال قرون.

أما لغة الكرد فبدءً بنولدكه Th. Noldeke ومروراً بهارتمان H. Hartman و Weissbach من المستشرقين الباحثين في اللغات والبروفيسور C.F. Lehmann Haupt و N.J. Marr ولرخ الذي انتهت إليه نظرية أن اللغة الكردية ذات خصائص إيرانية، اجتازت مراحل إنضاجها من خلال Dorn, Ranan, Kowik (المقصود النظرية) وربما رأى لرخ أن الكرد أحفاد الخالتيين الإيرانيين المقاتلين الأشداء البواسل الذين نزلوا سهول بين النهرين من الشمال، منذ ثلاثة آلاف سنة وهم من الجبليين المفعمين بروح القتال الذين أحنوا رؤوس العشائر الضعيفة لبابل (القصد من الخالتيين ليس كلدة).

وأما ألكرد من حيث العرق فثمة أطروحات، منها أطروحة: أن الكرد من أصل- ميد- إسكيتي V.minorsky المستنتجة عبر دراسات مضنية وذكية القائلة: «لو أخذت الأحداث التأريخية والجغرافية بنظر الاعتبار، يرجح أن الشعب الكردي إنما تكون من عشيرتين متعارقتين (من عرق واحد) تتكلم كلتاهما لهجات اللغة الميدية وهما الماريون والكرتيون.

يمكن تقسيم تاريخ الكرد- كما يرى باسيل نيكيتين، صديق الشعب الكردي- إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأول يقع بين القرنين ٦و١٥، من احتلال العرب حتى حكم آخر أحفاد المغول. ففي هذا الدور تظهر دويلات وتختفي دويلات والنصر معقود بناصية حد السيف.

ويفيد عدد من رؤساء الكرد في هذا الدور فائدة ما، لكنهم لا يخلقون شيئاً يستمر.

أما الدور الثاني: فيستمر من القرن ١٦ حتى اواسط القرن ١٩، وفي هذا الدور يظهر عدد من الإمارات الكردية التابعة لإيران وتركية ودول متبلورة نسبياً. **وأما الدور الثالث:** فيبدأ بزوال هؤلاء الأمراء الإقطاعيين- العشائريين وينتهي بظهور تركية الشباب، والانقلابات في إيران، ويظهر أول معالم الحركات القومية الكردية.

الدور الاول:

يمكن أن نشير إلى أن بين النقاط الجديرة بالذكر في الدور الأول تصاعد مقاومة الكرد الضارية ضد احتلال العرب في حلوان وتكريت (٦٠٧-٦١٦) والموصل وجزرة وأرمينية الجنوبية (انظر: ابن الأثير، الطبري، البلاذري). ويجب التحري عن سبب هذا في المجال الاجتماعي، أكثر منه في المجال الديني. كانت العشائر الكردية في خط التَّماسِّ الكردي- العربي الذي كان يشكل مسرح الصراعات من أجل الحصول على المراعي في مقاومة متواصلة ضد العشائر العربية [١١].

ويفسر ضياء كوك ألب سبب البداوة وشبه البداوة لدى الكرد في كتابه الموسوم «دراسات اجتماعية عن العشائر الكردية» على النحو التالي: «إن اسباب البداوة التامة وشبه البداوة لدى الكرد تكمن في اتصال العشائر الكردية بالصحراء. ففي الصحراء مثل عشائر الشمر والعزة والجبور والبكارة العربية القوية المقتدرة جداً. وإن كل واحدة منها في حالة حرب دائمية بشكل جيش قوي هو بالنسبة إلى جيرانهم من الشعوب المجاورة جيش العدو. وإن أمثال عشائر بارزان وقرهكچى (شيخ بزيني) وميللى وكيكى وحالمجان وبكوري وميران تحت تهديد هذه الحرب دوما وتتعرض باستمرار إلى هجمات تلك العشائر العربية إياها فليست حياتها ولا حاشيتها ولانساؤها في مأمن من غزوها. ولنقس هذه الحالة على أنفسنا: عندما اجتاح الجيش اليوناني غربي الأناضول وباشر بالقتل الجماعي ماذا فعلنا؟ ألم نصبح في حالة حرب؟ إن الأهالي الذين يعيشون في المناطق التي فيها القوات الحربية المسلحة لن يستطيعوا أن يعيشوا حياة مستقرة آمنة ثابتة، إنهم مضطرون الى أن يصبحوا في حالة حرب ومسلحين دوما أمام القوة التي تهددهم. وعليه فإن حالة الحياة البدوية ليست سوى وضع الاحتراب والقتال المزمن للشعوب الابتدائية ضد أعدائها.

لذا فإن الشعوب التي تعيش حياة البداوة أو شبه البداوة لامفر من تسلحها

بالضرورة.»[١٢]،إذ إن البداوة التي هي حصيلة المجتمع العشائري الرعوي القائم على القرابة الأبوية والتنقل وراء الكلأ بحسب الموسم والظرف المناخي إنما تعبر عن استمرار وجودها من خلال الاحتراب الدائم كلما تعرضت الى التحديات، بأي شكل كان، فكان من الطبيعي والتاريخي أن يلقى كل محتل مقاومة ضارية... وفي هذا الدور أيضاً نقرأ قصة مقاتل كردي من أهل الجزرة في عهد الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) يغلب في مبارزة فارساً (تأريخ عهد الإمارات (حزني الموكرياني) واشتراك الكرد في كثير من التمردات والثورات (ثورة الزنج) العام ٨٧٥م. وكذلك قامت في هذا الدور حكومة الشداديين من بين السلالات الكردية من قبل محمد شداد بن كارتو العام ٥٥١م-٣٤٠هـ، وهم ينتمون إلى عشيرة الروادي التي ينتمي إليها صلاح الدين الأيوبي. ففي ١٠٧٢ (٤٦٥هـ) تنقسم السلالة إلى فرعين: گنجة وآني. تنتقل آني إلى الجورجيين (١١٢٤-١١٧٤) ثم إلى الشداديين (١١٢٦-١١٦١و ١١٦٥-١١٧٤) وتم القضاء على الشداديين من قبل ملك شاه السلجوقي. وحول موضوع هذه السلالة بحث طريف لأحمد كسروي وبحث أكثر عمقاً لمينورسكي (انظر: الأبحاث التاريخية للقفقاس). المعلومات الجديدة الموضحة عن شدادي گنجه. شداديو آني، جامعة كمبرج ضمن سلسلة الشرق، ج، ٦، ١٩٥٣).

ولابد من القول إن أمراء الكرد هؤلاء إنما حكموا نفوساً أكثرهم من الأرمن. ومما يذكر أنهم تركوا آثاراً معمارية لافتة للنظر، بينها مسجدان تم بناؤهما في المدينة للسعاة «ألف وإحدى كنيسة» على الطراز المحلي لآني، ويغلب الطابع الإيراني على العمارة، سواءً كانت في گنجة أم في آني. ويتظاهر تأريخ الشداديين في وتيرة من الحياة مفعمة بالذوق الرقيق إلى جانب قعقعات السلاح باسم الفكر الإسلامي. ثم أسست حكومة سلالة كردية أخرى العام ٩٥٩م-٣٤٨هـ في إيالة الجبال من قبل حسنويه بن حسين الذي كان رئيس عشيرة البرزيكان ومن الموالين لركن الدولة البويهي. وكان ركن الدولة، كلما رفعت الشكوى من النهابين الكرد إليه (كذا) أجاب: «إن الكرد هم أيضاً يحتاجون الطعام ...».

ويمتدح المؤرخون العرب المزايا الشخصية والسياسية للحسنويين الذين قضي على اقتدارهم وأخرجوا من ديارهم من قبل شمس الدولة البويهي العام ١٠١٥م-٤٠٦هـ. ويذكر محمد أمين زكي في تأريخ الدول والإمارات الكردية، الترجمة العربية ١٩٤٥، ص ٣٨٨، أن أحفاد السلالة الحسنوية استقروا في إمارة برادوست الواقعة في كردستان

إيران. ويبين مينورسكي دور بدر بن حسنويه في التعليم: كان هذا الرجل يدير شؤون عشيرته بعنف. ولم يكن ليصفح، في حال عدم سيطرته على الوضع، عن أصغر سيئة (انظر: Eclipse المواصل لعمل مسكويه111، ٢٨٨)[١٣]. أما السلالة الثالثة والأكثر شهرة فهي سلالة المروانيين الكرد التي أسست من قبل أبي علي بن مروان بن دوستك والتي استمرت من العام ٩٩٠م-٣٨٠هـ حتى ١٠٩٦م-٤٨٦هـ. وكانت حكومة هذه السلالة تمتد حتى بلاد دياربكر وبعض مدن أرمينية، وعدا هذه فقد أصبحت أورفه (الرها) لفترة ما (١٠٢٥-١٠٣١م) ضمن حدود هذه الحكومة. وبفضل مخطوطة عربية لابن الأزرق الفارقي بشأن مدينة ميافارقين، موجودة في المتحف البريطاني ومستعملة من قبل H.F.Amidorz (J.R.A.S.1930) تم تعرف هذه السلالة جيدا. وحسب تدقيقAmidroz أن تأريخ هؤلاء، باستثناء كون رؤسائها ذوي منشأ كردي، لايختلف عن تاريخ طائفة الإمارات الإسلامية لذلك العهد. وإن البحث عن طابع خاص يومئذ بالكرد شيء عبث (؟). فإن الدولة السلجوقية قد أنهت حكم السلالة المروانية من خلال سلسلة من التآمر والدسائس.

اشتهر من المروانيين أبو نصر أحمد (٤٠٢-٤٥٣هـ) بالحذق والعدل والتَّنوُّر، رغم ولعه بالسفاهة. وقد ابتدأ اقتداره بإعطائه الصلاحية من قبل ثلاثة حكام: الخليفة والحاكم البويهي وملك بيزنطة، إسلاو ڤاسيل. وواضح معنى الاقتدار شبه المستقل لهؤلاء الأمراء الكرد!

وعدا الحسنوية كان في الجبال حكومة بني عنَّاز (عيَّار؟) بين (٣٨٠-٥١٠هـ) (١١١٦). (انظر.Cl.Huarr, Syria -١٩٢٢) وحكومة الشوانكارة في فارس في القرن الحادي عشر (رشيد ياسمي، كردو... ص١٦٧-١٧٠و ١٩٢)، وحكومة هزار اسب في لرستان الكبرى (١١٤٨-١٣٣٩)، والحكومة الأيوبية (١١٦٩-١٢٥٠) التي امتدت سلطتها من مصر حتى سورية وقسم من بين النهرين وأخلاط على بحيرة وان. وتندرج هذه الحكومات ضمن الصنف الأول من الأصناف التي صنفها مؤلف الشرفنامه، وكانت تتمتع بكل ما للملكية من امتيازات[١٤]، والحكومة السالارية في آذربيجان (٣٠٠-٤٢٠هـ) وأتابكة لرستان الصغرى (٥٧٠هـ-١٢٥٠م)، وأمراء اردلان (٦١٧هـ-١٢٨٤م) والحكومة الزندية (١١٦٧هـ-١٢٠٢هـ) وإمارة خراسان (٦٤٣-٧٨٥هـ) وحكومة البراخوية في بلوجستان (١١٧٢م-١٣٠٠هـ)[١٥].

وثمة أمراء وحكام آخرون مثل مظفر الدين كوكبري وسليمان شاه وحسام الدين خليل، أتابك لرستان الصغرى الذين يختلف المؤرخون بشأن انتمائهم القومي.

وكان موقف المغول من الكرد عند استيلائهم على بغداد ينبع من الافتراض القائل إن جلال الدين منگبورني كان في آواخر مقاومته، يواصل عملياته في كردستان ويطارد من قبل الجيش المغولي الذي كان بقيادة جورماگون نويا (عباس إقبال- تأريخ إيران، ج١، ص١٣٦).

يتراجع الكرد إلى قلل جبالهم متحينين الفرصة السانحة، وتسقط تدريجاً الإيالات التي كان الكرد يسكنونها تحت إدارة أمراء المغول. أما موقف تيمورلنگ فإن مؤلف الشرفنامه يذكر أنه اعترف بحقوق أمراء الكرد.أما حكومة الآق قويونلو التركمانية (القرن الخامس عشر) فقد كانت أكثر أذى وضرراً من المغول بسبب هدمها بيوتات الكرد الكبيرة بشكل منظم.أما حكومة القراقويونلو الشيعية التي سبقت الآق قويونلو السنية فقد قامت بمساعدة من الأمير شمس الدين، حاكم بدليس. فقد ذكر فومو ميتسوپسكي أن قره يوسف القره قويونلو لجأ العام ١٤٠٥م إلى هذا الأمير فساعده من كل الوجوه (٤١-٢٢). ثم استطاع قره يوسف أن يجمع حوله المزيد من القوات، واحتل عدداً من ولايات كردستان وآذربيجان.

وعقب وفاته استمال خلف تيمورلنك، ميرزا شاهرخ في السنة١٤٢٠م عدداً من الإمارات الكردية إلى تبعيته (١٠٨, ٤٤٧, ٤٤٨). وربما كانت القره قويونلو أهون شراً من الآق قويونلو.

حقا إن العهد الأشد صعوبة للشعب الكردي ابتدأ مع ظهور حكومة الآق قويونلو التركمانية السنية.فنظراً لإشراك نور علي بيگ الآق قويونلو المنتمي الى قبيلة بايندر في سلسلة من الحملات والاستيلاء والاحتلال لتيمورلنك في بداءة القرن الخامس عشر ولاه تيمور الكوركن على دياربكر بصورة تيول (الملكية الوراثية للأمراء). وعلى هذا الأساس فقد أسكن نور علي بيگ القبائل التركمانية في هذه الإيالة.

وفي العام ١٤٥٣م تربع حسن بيگ (أوزون حسن) على العرش في قلعة آمد (دياربكر)، واستطاع خلال فترة وجيزة أن يخضع قسماً من كردستان وآذربيجان وأرمينية وعراق العجم وعراق العرب وفارس إلى حكمه. وفي عهد حكمه تم احتلال عدد من الإمارات الكردية أيضاً. كان يشن الغارات على تلك الإمارات وينهبها ويضرم النار فيها. وحسب المصادر الموثوقة أن أمير زنجان ملك خلف على الرغم من تسليم

إمارته من دون أدنى مقاومة، لم يستطع أن يخلص الولاية هذه إلا بعد دفعه له ١٠ أمنان (٢٩كغم) من الذهب و ٥٠ منا (١٤٥كغم) من الفضة (ص٤٣، ٢٤١-٢٤٢).

وإذ أصاب الضعف حكومة الآق قويونلو في أخلاف حسن بيگ وقعت كردستان مجددا في دائرة نفوذ الدولتين العثمانية والمصرية، وهكذا فقد باتت كردستان في آواخر القرن الخامس عشر تنتقل من يد محتل إلى يد محتل آخر مراراً، وبذلك تدهور اقتصادها أكثر فأكثر، ولكن مع ذلك فقد استطاع عدد من الإمارات الكردية عندئذ أن يحافظ على استقلالها (ص٧٦، ٢٤٠-٢٦٦).

وباختصار فإن الكرد واصلوا مقاومتهم ضد الغزو الخارجي فأقاموا في القرنين الحادي عشر والثالث عشر، في عهد الشاعر الخالد الذكر علي ترموكي الشمديني إمبراطورية ملوك الطوائف الكبيرة، وحسب الشرفنامة أن سلالات الكرد استطاعت في هذا العهد بالذات أن تقيم دولا مستقلة في دياربكر وجزرة و دينور وشهرزور ولرستان ثم في الشام ومصر وفارس وغيرها. وعدا هذه الدول كانت ثمة ٤٦ إمارة بين كبيرة وصغيرة. وإن انتقال حقوق ملكية الأرض وحقوق الإمارة، سواء أنكان في ذلك العهد أو في مستهل القرن الخامس عشر بين العشائر الكردية من جيل إلى جيل وراثياً أدى إلى انقسام كردستان تدريجاً إلى إقطاعيات. وكان هذا الحدث بالذات عائقاً أمام تطور كردستان اقتصادياً، وإن الحروب التي تواصلت طيلة قرون بين إقطاعي العشائر الكردية لم تفسح أي مجال لتكوين كردستان موحدة مركزية. لهذا فإن إمبراطورية ملوك الطوائف التي شكلت من قبل العشائر الكردية لم تكن لتملك من القوة ما تدافع به عن كياناتها أمام الهجمات الخارجية وفلتت بسرعة عن مسارها فاحتل السلاجقة كردستان في الأعوام ١١٤١-١١٧٢م.

ونظراً لما تتمتع به كردستان من أهميتها الجغرافية والستراتيجية تعرضت إلى الاحتلال من قبل الخوارزمشاهيين وأتابكة آذربيجان واجتياح المغول المدمر في القرن الثالث عشر.وبذلك فقدت مدينة بهار عاصمة كردستان التي اقامها، كما أسلفنا، السلطان سنجر السلجوقي باسم كردستان في لرستان الكبرى لأول مرة. وفي القرن الرابع عشر أضحت سلطان آباد (چمچمال)[١٦] مركز كردستان.

وفي غمرة اجتياح المغول اصطدم الغزاة المتدخلون مجدداً بمقاومة جدية للشعب الكردي. وحسب «الشرفنامة» و«الظفرنامة»، ان امير حكاري «عزالدين» أبدى مقاومة بطولية في قلعة «شيروان» ضد جيش تيمورلنك (٧٩، ٩٠، ٧٧، ٤٢٢)

وهكذا يكون الشعب الكردي بعد مسيرته هذه قد دخل المرحلة الثانية أو الدور الثاني من تاريخه.

الدور الثاني:

كان إلى جوار الشعب الكردي الذي استنفد طاقاته نتيجة المداهمات والاجتياحات الخارجية المتواصلة والحروب العشائرية الداخلية في أوائل القرن السادس عشر دولتان قويتان، كالدولة العثمانية والدولة الصفوية. ففي هذا العهد ذاته كانت وظيفة الإمارة وملكية الأرض بين مختلف العشائر الكردية تنقسم كما كانت إلى إمارات ذات نظام ملكي. وكان سند هذه الإمارات الاجتماعية أفرادالعشيرة. أما الاساس الاقتصادي لها فكان يشكله أسلوب الملكية الخاصة لصغار الإقطاعيين للأرض وأصول الاستغلال المستندة إلى هذه الملكية. فقد كان أفراد العشيرة هم الذين يتحملون مختلف التكاليف والواجبات للأمراء ويشتركون في أسفارهم الحربية. فان الخدمة الحربية للأمير الإقطاعي قد اتخذت بين الكرد نمط مهنة دائمية على مر العصور. ومن هنا فإن أمراء الكرد كانوا يشعرون بانفسهم أمام الدولة القوية خداماً حربين، وأمام الدولة الضعيفة حكاما مستقلين. وكما يذكر شرفخان البدليسي أن القبائل القوية التي تتصف بالتفوق عدديا تسمى العشائر بين الكرد (٧٩، ١٨). كان في أوائل القرن السادس عشر يصادف في كردستان عدد من العشائر القوية والمستقلة نسبياً. وكانت مرعش مركزاً لإحدى هذه العشائر. وأصبح علاء الدولة ذو القدر التركماني أميراً للكثرة من الكرد. وثانيتها تلك التي كان مركزها صاوجبلاق (مهاباد) ورئيسها رئيسس قبيلة مكري، صارم بن سيف الدين. وكما كان في الماضي فإن المصادمات الداخلية المتواصلة بين الأمراء في العهد ذاته لم تدع مجالاً لوحدة كردستان سياسياً، ولم تكن لتحقق هذا الإمكان. فقد كتب البدليسي مشيراً إلى هذا الوضع على النحو الآتي: «ترى كل واحد منهم في مكان رافعاً راية الانطلاق مستقلا في قلل الجبال ولا يجمعهم اتحاد غير التوحيد (الإسلام) (٧٦، ١٦-١٠٣:١٧).وهكذا فإن أمراء الكرد الذين لم يتمركزوا في اوائل القرن السادس عشر سياسياً كان عليهم، لكي يحموا انفسهم من عدوان آخر، أن يستندوا إلى إحدى الدولتين المتجاورتين لهم. وكان من الطبيعي أن يميل أمراء الكرد القريبين من المذهب السني إلى جانب العثمانيين. أما الكرد المتآخون مع الآذربيجانيين فكانوا يميلون إلى الصفويين (٢٢، ٧). ولميل الكرد إلى الصفويين جذور تمتد الى تنكر

الحكام العرب لشعار المساواة التي جاء بها الاسلام وإيغال الترك الغزنويين والسلاجقة والمغول والتيموريين في الظلم والاستغلال، الامر الذي جعله يتذكر وجه «الإمام علي» و «الإمام الحسين» ووجد في عذابات ونكبات «آل علي» مظالم نفسه، ومن خلال الميل إلى هذه الأسرة- إلى التشيع وتذكر شهداء كربلاء. ونظروا الى الدولة الصفوية وبانيها الروحي الشيخ صفي، تلميذ الشيخ زاهد الجيلي في أردبيل مرشدا للآلاف من الصوفية الكرد، التي قامت على أرض آذربيجان نظرة الأمل لحمايتهم من العدوان الخارجي ونظرة الملهوف إلى المغيث والمنقذ، ولكن سياسة الشاه إسماعيل الصفوي الخاطئ التي طبقها في كردستان قضت على هذا الأمل وتلك العلاقة الروحية. فان أول هجوم للشاه إسماعيل ابتدأ باحتلال صاوجبلاق، ثم أعقب ذلك تجريده العام ١٥٠٥م جيشاً كبيراً بقيادة القادة القزلباش، دورموش خان شاملو وعبدي بيگ شاملو وصار و علي مهردار تكەلو وبارام بيگ قارمانلو وخليفة بيگ علي صارم بن سيف الدين، ولكن صارماً انتصر في هذه الحرب وحافظ على استقلاله. وحسب المصادر المعاصرة لذلك العهد فقد قدم القزلباش ضحايا كثيرة ولم يعد من القادة المار ذكرهم سالمين غير دورموش خان شاملو وبيرام بيگ (٥٩، ٩٠) وخليفة بيگ. وثمة من المؤرخين كمؤلف «حبيب السير» من يحاول التستر على سياسة الشاه إسماعيل العدوانية. ومنهم من يذكر، مثل الجنابادي «أنه حدثت معركة ضارية بين جيش الشاه وبواسل الكرد، فهرب صارم وأعمل السيف في أكثر المقاتلين الكرد وسالت الدماء بدل الماء» (١١٣، ١٠٢)

أما صاحب الشرفنامة فيذكر أن صارماً تبع السلطان سليماً الأول لينجوا من شر القزلباش. (٧٦، ٢٨٩). وإن قول الشرفنامة في رأي كثير من المؤرخين هو الصواب، لأنه دوّن ما جرى بين أمراء الكرد والصفويين في كتابه بدقة وأظهر تناقضات ذلك العهد بشكل واضح جدا. ولابد من الإشارة إلى أن قسماً كبيراً من أرض كردستان كان تحت حكم حاكم قوي هو علاء الدولة ذو القدر.إن هذه السلالة حكمت منذ العام ١٣٣٩م حتى العام ١٥١٥م، الولايات مرعش والبستان وخارپوت (خرت پرت) وآمد وأورفة وغيرها، فترأست إلى جانب ٨٠ الف بيت من عشيرة ذي القدر، عدداً كبيراً من العشائر الكردية. لقد اصطنع آخر حاكم من حكام السلالة وهو علاء الدولة سياسة ذكية مع سلاطين آل عثمان ومصر الذين كانوا قد اقتسموا كردستان مناطق لنفوذهم، فحافظ بذلك على استقلاله، إلى جانب إفادته منهم فوائد مادية. ومما يذكر إسكندر منشي بهذا الصدد على سبيل المثال، أنه إذا جاء ممثل الروم (العثمانيين) إلى بلاطه

ألبس بعض خدمه الزي المصري، قائلاً للممثل الروميٍّ: «جاء ممثل مصر ويطلب مني المساعدة ضدكم، ولكن لأني صديق للسلطان رفضت طلبه (٤٧، ٣٣). وإذا جاء ممثل مصر كرر العملية نفسها. لذا فقد كان علاء الدولة ذو القدر يقول دائماً: «لدي طائران من ذهب يبيض أحدهما الذهب والآخر الفضة». وعلى هذا المنوال فقد كان اقتداره يزداد يوماً بعد يوم وتبع حكومته كثير من أمراء الكرد. وإن السلطان مراد الآق قويونلو الذي غلب في حربه مع الشاه إسماعيل الصفوي الأول يأتي العام ١٥٠٦م إلى إيالة مرعش ويتزوج من ابنة علاء الدولة، ويتحد في ما بعد جيشا التركمان وعلاء الدولة ويشكل من كليهما قوة كبيرة، ويخضع علاء الدولة، مستفيداً من هذه القوة، الإمارات الكردية الأخرى، ومنها ولاية الموصل إلى حكمه. ثم كان يعتزم السيطرة على إيالة دياربكر، ولكن حاكم دياربكر أمير بيك موصللو يتبع الشاه إسماعيل الأول العام ١٥٠٧م ويمنحه لقب الخان. وبعد فترات يصبح لالة[١٧] للميرزا طهماسب ويعينه حاكماً على ولاية خراسان (١١٣-٢٩٩). تبقى قلعة دياربكر في يد علاء الدولة، ويستعد للهجوم على دياربكر، ولكن ما إن يسمع الشاه إسماعيل الأول بهذا النبأ حتى يجرد جيشاً العام ١٥٠٧م على علاء الدولة. تقابل الجيشان في صحراء البستان وجهاً لوجه. وبعد قتال تواصل ثلاثة أيام والقزلباش لايستطيعون استرجاع قلعة دياربكر من يد علاء الدولة. ومما يذكر أن تراب صحراء البستان احمرّ لونه من كثرة الدماء التي أريقت على أديمه في هذه المعركة (١١٢، ٤٣-٤٥). ثم تراجع علاء الدولة مع الباقين من قواته نحو جهة مرعش. وولى الشاه إسماعيل، الخان محمد أوستاجلو إيالة دياربكر، ولكنه لم يتبع قايتماز بك[١٨] حاكم امارة قره حميد (قره آمد) الواقعة في محال دياربكر، وأحكم قلعة آمد التي كانت بيده، ولكنه اندحر في المعركة التي قادها ضد الخان محمد أوستاجلو.

يكتب حسن بك روملو:

«لقد قتل في استرجاع قلعة آمد فقط أكثر من سبعة آلاف رجل (٥٩، ٩٤). وبعد هذا الاندحار عقد قايتماز بك موصللو اتفاقا مع حاكم مرعش علاء الدولة، ذي القدر وعين علاء الدولة ابنه قاسم بك (يعرف بصارو قيلان) على رأس ١٠ آلاف من المقاتلة. وهجم قاسم بك في أشهر شتاء العام ١٥٠٧م على دياربكر وفي هذه المعركة كان المنتصر هو الخان محمد أيضاً. وقتل قاسم بك وقايتماز بك موصللو. وبهذا تم احتلال

مدينة قره حميد (قره آمد) وقلعتها من قبل الخان محمد أوستاجلو.

ويذكر حسن بك روملو: «أن جيش قاسم بك المؤلف من ١٠ آلاف مقاتل لم يشتبك معه في هذه المعركة جيش مكون من ألفي مقاتل فقط من قوات الخان محمد أوستاجلو. ومع ذلك فقد خرج منها منتصراً.» (٥٩، ٩٥-٩٦). ويفسر البدليسي في كتابه انتصار الخان محمد أوستاجلو على النحو الآتي: «إن الخان محمد أوستاجلو بات جاراً للأمير دياديين (ضياء الدين)، رئيس عشيرة السليماني الكردية وتصاهر معه. بهذا فإن عشيرة السليماني دافعت عن دياربكر بحد السيف وحمتها وقتل صارو قيلان (٧٦، ٢٦٥). ومما يذكر أن ضحايا هذه الحروب الدائرة على أرض كردستان كان أكثرهم من الكرد كما يعتقد.

وكتب قاضي أحمد قزويني: «وبعد هذا الاندحار جمع علاء الدولة ذو القدر جيشاً قوامه ١٤ ألف مقاتل وعين على رأسه ابنه الكبير كور شاهرخ وابنه الصغير أحمد بك وساق هذه القوة الكبيرة مجددا على دياربكر، ولكنه اندحر» (١٠١، ٢٧٠، ١٠٢، ١١٩).

لقد احتل الشاه إسماعيل الأول إيالة دياربكر وعددا من القلاع والإمارات التابعة لها، إلا أنه لم يكتف بهذا، وإنما استولى بالحرب على أگيل والموصل وسنجار وماردين وأرزنجان وخاربوت وأرميش وعدد آخر من الإمارات. ومن أجل الاستيلاء على ولاية جمشكزك جرد عليها جيشا بقيادة نور علي خليفة، غير أن أمير هذه الولاية، حاجي رستم بك لم يبد أية مقاومة فسلمها إلى القزلباش. وقد سبق أن رفض تكليف السلطان بايزيد إياه الاشتراك في حربه العام ١٥٠٣م ضد الصفوية. وبعد ذلك بات نور علي خليفة حاكما على جمشكزك ثم انتزعت إمارة عتاق من أحمد بك جبراً.

وبغية الاستيلاء على إيالة جزرة، جرد الشاه الجيش ثلاث مرات عليها، ولكن باء كل مرة بالفشل والاندحار. وعلى ماجاء في الشرفنامة » فإن حاكم جزرة الأمير شرف أهلك في معركة واحدة نحو ١٧٠٠ مقاتل من جيش الشاه وأسر معه كثيراً (٧٦، ١٢٧). ولكن أخا الأمير شرف، شاه علي بك تبع الشاه إسماعيل بعد وفاة الأمير شرف.

وعندما احتل الشاه إسماعيل الصفوي الإمارات الكردية العام ١٥٠٥م توجه ١٢ أميراً كرديا من البارزين المشاهير يحملون هدايا ثمينة نحو خوي وتبريز بهدف عرض التبعية على الشاه. فقد كتب البدليسي: « ما إن وصل أمراء الكرد تبريز حتى قيدوا

جميعا بالأغلال وأودعوا السجن» (٧٦، ١٢٥). وفي السنة نفسها توجه جمع مؤلف من ١١ أميراً كردياً إلى تبريز بغية عرض تبعيتهم للشاه، غير أن حظ هؤلاء أيضاً لم يكن بأفضل من حظ أولئك الاثني عشر الأوائل ولم يستطع أن يعود بعض من هؤلاء الأمراء إلى كردستان إلا بعد أن وجدوا الفرصة سانحة في أثناء حرب چالديران (٥١٤). وعدا هذا فإن الشاه إسماعيل لم يكتف بسجن هؤلاء الأمراء حسب بل ولى على إماراتهم الواحدة تلو الأخرى قادته من القزلباش. وكما كتب البدليسي «إنه ولى إيالة الجزرة اولاش بك وإمارة أگيل أخا الخان محمد أوستاجلو، منصور بك وولاية بدليس أولا، قورد بك ثم عوض بك (٧٦، ١٢٥-٤١٦). وهكذا فإن سياسة الشاه إسماعيل السلبية في كردستان وسجن أمراء الكرد الذين وفدوا إليه لعرض الطاعة عليه وإعطاء القادة القزلباش أراضي كردستان والعلاقات السلبية لهؤلاء القادة مع الكرد زادت من الاختلاف المذهبي بين القزلباش وبين الكرد مما أدى ذلك إلى معارضة كبيرة من قبل الكرد ضد الحكومة الصفوية في كردستان.

في هذه الظروف تغير الاتجاه السياسي السائد في كردستان لصالح الحكومة العثمانية، فإن عددا من أفراد الكرد لم يميلوا بعد، إلى البلاط الصفوي، وإنما مالوا إلى بلاط السلطان العثماني. وقد لعب في هذا الحدث التعصب المذهبي بين العثمانيين من جهة وبين الكرد من جهة أخرى وبين الصفويين دوراً كبيراً.

ويتطرق البدليسي إلى النتيجة التي ذكرناها أعلاه على النحو الآتي: «إن أمراء الكرد الذين ضاقت أرواحهم بمظالم القزلباش شرعوا يتبعون السلطان سليم خان الأول ... (٧٦، ١٢٥). وطمعاً في الإفادة من الظروف الراهنة بعث السلطان سليم الأول فورا بمولانا إدريس البدليسي[١٩] مكلفاً إياه القيام باستمالة أمراء الكرد إلى صف السلطان. إن مولانا إدريس الكردي الأصل قد اتم تحصيله في عصره بأحسن وجه، وعمل كاتباً في ديوان حكومة الآق قويونلو، وكان ذا نفوذ كبير بين أمراء الكرد. لهذا فقد نجحت الدعايات التي بثها بين الأمراء لصالح السلطان. ومن جهة أخرى فإن عدداً من أمراء الكرد طمعا في الحفاظ على حقوقهم الوراثية في الإمارة كانوا يرغبون في موالاة حكومة السلطان، معتقدين بأنها تضمن حقوقهم الوراثية في الإمارة إلى الأبد، كما أن بعض رؤساء العشائر بدافع الحرص الشديد على الحصول على أكثر من حقوقهم في الإمارة أمسوا قادة للصراع الناشيء بعد ذلك من أجل استقلالهم (١٥٣٠-١٥٨٥م). وعلى ماكتب مؤلف الشرفنامة أن أكثر من عشرين أميراً كردياً بعثوا من

طريق مولانا إدريس البدليسي برسائل يعلنون فيها عن ولائهم للسلطان سليم الأول وتبعيتهم له (٧٦، ٤١٦)، أضف إلى ذلك أن حكومة السلطان استمالت إلى جانبها عدداً من أمراء الكرد بدفع النقود لهم وعرض الوظائف عليهم. وبعد استكمال هذه الاستعدادات شرع السلطان سليم الأول بشن حرباً مكشوفة ضد الحكومة الصفوية. وحسب ماكتب بعض الباحثين أن ٤٦ أميراً كردياً قد اشتركوا في هذه الحرب مع قواتهم المسلحة (٨٩، ٤٤).

لقد هجم السلطان سليم الأول العام١٥١٤م على آذربيجان وأرمينية وانتصر في صحراء چالديران على الشاه إسماعيل الأول.

ينقل إسماعيل بيشيكجي في كتابه «دوغوانا دولونك دوزني (نظام الاناضول الشرقية)(ص ٧٩) عن البروفيسور إسماعيل حقي أوزون چارشيلي بهذا الصدد: «لقد خدم إدريس البدليسي من أجل استيلاء العثمانيين على ولايات ديار‌بكر والشرق خدمة كبيرة. إنه التقى أمراء الكرد السنة واستمالهم إلى صف العثمانيين. وبهذه الصورة أطاع أمراء خمس وعشرين منطقة مثل: أورمية وعتاق والعمادية وجزرة وأگيل وبدليس وخزان وپالو وسعرد وحصن كيف وميافارقين وجزيرة ابن عمر وأرسلت لهم براءات حمل الأوسمة على أن يبقوا في إدارة شؤون مناطقهم جريا على تقاليدهم القديمة. وكان بين هؤلاء الأمراء، الأمير جمشيد، حاكم پالو الذي عرض على اليادشاه إطاعته في أثناء سفره إلى معركة چالديران، كما كان بين أمراء الكرد الآخرين الذين قبلوا السلطة العليا للعثمانيين بإطاعتهم لهم، حاكم بدليس، الأمير شرف الدين، وحاكم العمادية سلطان حسين. وبعد هذا، وفي أثناء حملة ياوز السلطان سليم الأول على مصر وعقب فتح حلب وعودة السلطان من حملته دخلت ملاطية وأورفة وبسين وأرغني وخربوت وديوريكي وسيوەرك وماردين للمرة الثانية وبعض المدن والقصبات الأخرى ضمن الإدارة العثمانية. وبغية الاستيلاء على الأناضول الشرقية تواصلت المحاولات حتى انتهت خلال ثلاث سنوات وكان لأدريس البدليسي في هذا المجال أيضاً خدمة جلى.

ويذكر البدليسي أيضاً أن حملات السلطان سليم الأول على آذربيجان وأرمينية إنما تمت بناءً على طلب أمراء الكرد (٧٦، ٤١٦)، في حين أن السبب الأساس يجب أن يبحث عنه في التناقضات الاقتصادية- الاجتماعية والسياسية لذلك العهد في سياقه التاريخي. لقد اكتسبت السلطة الداخلية للسلطان سليم الأول بعد معركة چالديران.

بشكل متواز مع تناقص سلطته الخارجية، القوة في كردستان وتمركزت داخل إقطاعيات تلك الإمارات أكثر فأكثر. ويكتب البدليسي: «بعد معركة چالديران ضعف نفوذ القزلباش في كردستان وانتقلت كردستان وديار‌بكر إلى يد العثمانيين (٧٦، ٢٦٧)، لأن السلطان سليم الأول قرر قبل كل شيء، بعد معركة چالديران حل قضية كردستان. إنه أعلم السلطان وهو في طريق عودته من حرب چالديران على لسان أمراء الكرد أنهم طلبوا استرجاع إماراتهم من القزلباش وتعيين واحد من بينهم أميراً للأمراء (مير ميران). وأضاف مولانا، أن العشائر الكردية لايطيع بعضها البعض. ومن الأفضل أن يعين السلطان من قبله واحداً، أميراً للامراء عليهم». وحسب معلومات «الشرفنامة» أن السلطان رضي بهذا الاقتراح فعين محمد آغا الچاوشباشي (المعروف بمحمد آغا بيقلي أيضاً) أمير أمراء على ديار‌بكر وقائداً عاماً لجيش كردستان (٧٦، ٤١٧)، ثم منحه لقب الباشوية. ويتحدث قاضي أحمد عن المصادمات المتواصلة في كردستان قائلاً: «لقد أرسلوا مستوفي التركماني المعروف ببيقلي چاوش لاحتلال كردستان» (١٠١، ٢٤٧).

وهكذا فإن الحروب العثمانية- الإيرانية التي اندلعت في القرن السادس عشر قد تواصلت، وإن أمراء الكرد الذين فقدوا إماراتهم الوراثية وغير الراضين عن الدولة الصفوية كانوا يشعرون في هذه الحروب بفعالية أشد. وكان السلطان سليم الأول قد أسند القيادة العامة لحرب كردستان إلى محمد پاشا وإدريس البدليسي. وكتب صولاق زاده يقول: «وإذ عاد السلطان من تبريز توجه المؤرخ مولانا إدريس البدليسي الذي جلب نظر الپادشاه والذي كان داعية الخير لسلالة آل عثمان إلى كردستان ليحمل أمراء الكرد على أن يتبعوا الپادشاه، عالي الأروقه (٨٥، ٣٧٨-٣٧٩). وكانت فلول حرب چالديران مازالت تواصل القتال في كردستان.

ويذكر محمد أمين زكي المؤرخ الكردي المعاصر في كتابه «الكرد وكردستان» أن الخان محمد أوستاجلو، حاكم ديار‌بكر، جاء بعد حرب چالديران إلى ديار‌بكر (١١٧، ١٧٦). ولكن المصادر تذكر أن الخان محمد أوستاجلو لهلاكه في حرب چالديران، عين الشاه إسماعيل الصفوي الأول العام ١٥١٤م أخاه قرەخان حاكماً على ديار‌بكر وأصبح في حرب كردستان هو القائد العام لجيش القزلباش (٨٥، ٣٧٨). لقد هجم قرەخان في رأس ٥ آلاف مقاتل من القزلباش لدخول ديار‌بكر، بيد أن أهاليها صدوه فلم يستطع دخولها، لأن ديار‌بكر كانت قد أضحت تابعة للدولة العثمانية. وقد

استحكم قرەخان في ولاية ماردين، وبدأ من هنا الهجوم على العدو، فابتدأ الجيشان القتال في المكان الموسوم «قوج حصار» قرب نصيبين. وقد كتب البدليسي: «إنه قتل في هذه المعركة من عشيرة الروژكي (عشيرة شرفخان البدليسي) تاج أحمد وقاسم أنداكي وأمير شاه حسين كيساني، ومير سيف الدين وعمر جاندار.» (٧٦، ٤١٧). وجاء في «الشرفنامة» أن عدداً كبيراً من المقاتلين الكرد جرحوا وأسروا أيضاً. كانت المعارك في عدد من ولايات كردستان متواصلة على أشدها. فقد ظلت قلعة أرجيش تحت حصار القزلباش لأكثر من عام. وهلك من إثر هذا الحصار أكثر من ١٥ ألف مقاتل كردي وجندي عثماني. أسندت مهمة الدفاع عن قلعة ماردين الى سليمان الخان أوستاجلو (أخي قرەخان) وانتقلت قلعة ماردين لمرات عديدة من يد إلى يد، بيد أن القزلباش لم يستسلموا، فاستمرت الحرب في كردستان، ولهذا السبب بالذات اتخذ السلطان سليم الأول التدابير الحاسمة لاحتلال ولايات كردستان في العام ١٥١٦. فقد أرسل شادي پاشا الذي كان في رأس قيادة جيش الأناضول إلى قلعة ماردين ومصطفى پاشا، حاكم طرابزون، برفقة ١٠ آلاف الى أرزنجان.

ويكتب حسن روملو: «إن نور علي خليفة، حاكم جمشكزك تقابل في ناحية أرزنجان مع مصطفى پاشا، وانتصر مصطفى پاشا هذا في المعركة التي دارت بينها وقتل نور علي خليفة.» (٥٩، ١٥٤)، ولكن مؤلف الشرفنامة يقول: «إن نور علي خليفة هذا لم يقتل بيد مصطفى پاشا، بل قتل من قبل الكرد الذين كان يقودهم پير حسين (٧٩، ١٦٧-١٦٨). ونرى أن ماذكره، كرأي، لشمسي محمد إسكندر الذي بحث تاريخ كردستان بدقة، أقرب إلى الحقيقة.

خضع في منتصف القرن السادس عشر عدد من الإمارات الكردية شمال غربي كردستان للدولة العثمانية، لأن علاء الدولة ذا القدر، حاكم مرعش غلبه الجيش العثماني أي لم يكن في تلك الناحية قوة تستطيع أن تنافس الدول العثمانية. وبعد الاستيلاء على إيالات دياربكر وأزرنجان ومرعش بعث السلطان سليم الأول من طريق مولانا إدريس البدليسي هدايا قيمة وأوسمة فخرية الى أمراء الكرد الذين ساهموا في القتال الذي دارت رحاه في دياربكر. وقد كان السلطان يعتبر الاستيلاء على دياربكر ووقوع الشعب الكردي في أسره خدمة جيدة قدمها له مولانا إدريس البدليسي، ولكن الحرب في ماردين كانت متواصلة وعلى أشدها. ونظراً لنشوب خلاف بين شادي پاشا وبين محمد پاشا عاد شادي پاشا إلى الأناضول من دون الاستيلاء على ماردين.

واهتبل قرەخان هذه الفرصة فأحكم قلعة ماردين أكثر فأكثر. وإذ رأى مولانا إدريس الوضع على هذه الشاكلة راجع السلطان وطلب منه المزيد من القوات الجديدة. يكتب صولاق زاده بهذا الشأن قائلاً: «بعث السلطان برفقة مغوار شجاع، يدعى أحمد من شجعان الروم إلى النجدة» (٧٦، ٨٥، ١٦٧-١٦٨). ويذكر إسكندر بك منشي: «إن الجيش العثماني المؤلف من عشرين ألف مقاتل قدم في أشهر صيف العام ١٥١٦ للنجدة والمساعدة.» (٤٧، ٤٣). واتحدت هذه القوة الجديدة مع قوات محمد پاشا ووقعت بين الطرفين في ناحية ماردين معركة من أشد المعارك ضراوة، ويواصل إسكندر منشي قوله: «في هذه المعركة قتل قرەخان، واختلت صفوف القزلباش وانتصر الجيش العثماني».(٧٦، ٤٧، ٤٣، ١٤٦)، وتم احتلال ماردين ولكن القلعة الداخلية للمدينة لم تستسلم.

وبعد أن احتل السلطان سليم الأول مدينتي حلب ودمشق أرسل إلى كردستان كثيراً من قطعات الجيش ومدافع، وهكذا فقد تم احتلال قلعة ماردين ايضاً. ولكن المؤرخ التركي محمد راسم يدعي بأن ماردين ظلت في أيدي الإيرانيين حتى العام ١٥٢٩ (٥٣، ٢٦٨). إلا أن المصادر أعلاه ترد هذا الادعاء.

وبعد احتلال قلعة ماردين أمست أورفة وسنجار وحصن كيف والموصل وطائفة أخرى من الولايات والقلاع الكردية خاضعة للحكومة العثمانية. يبين البدليسي: «بات السلطان سليم الأول بعد معركة چالديران مالكاً لأنحاء دياربكر وأخذ چياقچور وآقچه قلعة وزاك ومنشكرد Meneshkurd تحت تصرفه.» (٧٦، ٢٥٦). المتواصلة من أجل الاستحواذ على كردستان.

إن البدليسي لايذكر عن الحروب الإيرانية - العثمانية سوى النذر اليسير، بل حتى لايذكر متى انتهت هذه الحروب، لكنه يذكر مقتل قرەخان في أول مصادمة. لقد كتب إسكندر منشي وقلة من المؤرخين والباحثين أن حرب كردستان تواصلت لسنتين. وبغض النظر عن كل هذه فإن البدليسي علاوة على ذكره طائفة من المعلومات المفيدة والقيمة عن الأحداث الجارية في كردستان في القرن السادس عشر لاينسى كلما عنّ مقامه فضح السياسة العثمانية ولو بشكل مقنَّع.

وهكذا فقد انتهت الحروب الإيرانية- العثمانية التي استمرت طيلة السنوات ١٥١٤- ١٥١٥ والتنافس الشديد على كردستان وحسم الأمر لصالح العثمانيين. أما مولانا إدريس البدليسي فقد أرسل السلطان سليم الأول من طريقه ٥٠٠ خلعة و ١٧

راية. أما مولانا نفسه فقد كوفئ بسيف مطلي غمده في فرنسا خصيصاً بالذهب وهدايا تقدر قيمتها بـ ١٢ دوقة ذهب (٤٢٠غرام).يكتب صولاق زاده متحدثا عن حروب كردستان في الأعوام ذاتها: «إن الأعداء الرديئي المحتد (القزلباش -إضافة شمسي محمد إسكندر-) لم يصمدوا أمام بواسل الكرد وفروا. كوفئ مولانا إدريس البدليسي بألف فلوري (اسم عملة كانت متداولة في العراق في القرون الوسطى تساوي الواحدة منها ١٢ شاهياً إيرانياً عهدئذ. انظر (٧٨-١٥٨)، وبفرامين فخرية من قبل السلطان سليم الأول ودعي للحضور في البلاط العثماني، بيد أن مولانا لانشغاله بالحروب المستمرة امتنع عن الحضور.» (٨٥، ٣٨٠-٣٨١) .

إن مولانا إدريس البدليسي بلغ من إثباته للصداقة والإخلاص في عملية إتباع وطنه كردستان للحكومة العثمانية حد أن يرسل السلطان سليم الأول إليه أوراقاً بيضاً خالية مذيلة بختمه، وفوضه أن يملأها بما يشاء، وكان لمحض هذا السبب اشترك في عقد الاتفاقيات مع أمراء الكرد كممثل رسمي عن السلطان وفق الأصول أدناه:

١- يستطيع أمراء الكرد من الآن فصاعداً طبق ما كانوا عليه سابقا إن يديروا أراضيهم باعتبارها أملاكاً موروثة لهم، ولكنهم لن يستطيعوا أن يؤسسوا حكومات مستقلة. ويستطيع كل أمير أن يحكم في نطاق إمارته ويرسل إلى غيره من الأمراء من يمثله.

٢- على جميع أمراء الكرد أن يشتركوا مع قواتهم المسلحة في سائر حروب الدولة العثمانية ويقاتلوا لصالحها. وعلى الحكومة العثمانية أن تحمي هؤلاء الأمراء من كل عدوان خارجي.

٣- على كل أمير أن يقدم مبلغاً معيناً من النقود باسم الهدية إلى خزانة السلطان (١١٤، ٤، ١٢١، ٤٣٦، ٤٣٧). وللأمراء أن يكونوا مستقلين في أمورهم الداخلية أما في السياسة الخارجية فعليهم أن يتبعوا الحكومة العثمانية.

وهكذا أمست كردستان تابعة بمساعدة مولانا إدريس البدليسي، للحكومة العثمانية. وعلى أساس الاتفاقية المعقودة، تم الحفاظ على الحقوق الإماراتية الوراثية حال دون تشكل كردستان المركزية. وكان انتقال الأراضي من طريق الوراثة يؤدي إلى انقسامها إلى حصص صغيرة وبالتالي إلى ازدياد عدد الإقطاعيين العشائريين.

انقسمت إيالة دياربكر الى ست حكومات وتسع عشرة ملكية وراثية (اوجاقلق) (٩٨، ٣٠٠-٣٠٢). وقد غدت أحد عشر سنجقاً تابعاً مباشرة إلى الحكومة العثمانية

(يطلق السنجق عادة على مساحة صغيرة من الأرض) وبقيت ثماني عشرة أوجاقلق مستقلة ظاهراً.

يكتب أوليا چلبي بهذا الصدد: «أخذت، عدا دياربكر، أربعون قلعة تابعة لها من قبل السلطان سليم الأول (٤٨، ١٤٦).

وهكذا فإن دياربكر وحدها لم يشملها نظام التقسيم هذا. أما إيالة وان فقد قسمت إلى ٣٧ أوجاقلق واستثنيت الحاكميات التابعة (الإمارات) للبلاط السلطاني وكان في هذه الحاكميات:

١- حاكمية حكاري. فكان عليها أن تحتفظ بعشرة آلاف مقاتل مسلح في حالة السلم دواماً ويرفَّع هذا العدد إلى خمسين ألف مقاتل وقت الحرب.

٢- حاكمية بدليس. وكان عليها هي أيضاً أن تشكل قواتها على غرار إمارة حكاري.

٣- حاكمية المحمودي. وكان عليها أن تحتفظ دائماً بستة آلاف مقاتل مسلح.

٤- وكان على إمارة پينيانيش الجارة لإمارة المحمودي أن تحتفظ هي الأخرى بستة آلاف مقاتل مسلح (٢٩٨، ٣٠٢).

وعدا هذه فقد نقل عدد من العشائر الكردية إلى الحدود الآذربيجانية لحماية الأراضي العثمانية من هناك.

يكتب P. E. Avriyanov «إن هذه العشائر التي كان يعين من بينها موظفون انضباطيون معفوُّون من دفع الضرائب شريطة تقديم الخدمة المناطة بها للدولة العثمانية» (٩، ٢-٣). ويكتب أوليا چلبي: «لم يبق للدولة الصفوية، بعد هذا التقسيم غير إمارات قوتور وپيردوزي وجولاني ودونبولي فقط.» (٤٨). أما دائرة المعارف الإسلامية فتذكر: «أن الدولة الصفوية لم يبق لها سوى كرد كرمانشاه فقط» (١٣٢، ٧، ١٢). وبهذا تم الاستيلاء على كردستان وانتهت عملية اول تقسيم لها بين الدولتين الإيرانية والعثمانية. ولقد اشترك في هذه الحرب التي دارت رحاها في كردستان أربعة باشوات عثمانيون، وعلى رأسهم محمد پاشا وعدد كبير من المدافع والبنادق التي كانت لها أهميتها الحيوية لبلدان الشرق يومئذ و ٢٤ ألف جندي تركي على وجه التقريب. وحسب ماكتب أحمد راسم أن ٤٠ ألف جندي لرئيس الوزراء صنعان پاشا تمركز العام ١٥١٦ في دياربكر (٥٣، ٢٧٣). وكان يشترك في الحرب ضد القزلباش عدا مختلف أمراء الكرد وعلى رأسهم مولانا إدريس البدليسي وابنه أبو المواهب وكثير من أمراء الكرد وأكثر من ٣٥ ألف مقاتل كردي على وجه التخمين.

وكان يشترك بالمقابل في الحرب الدائرة من جانب الدولة الصفوية طمعاً في اقتسام كردستان قرهخان أوستاجلو وإخوته أولاش بك وسليمان خان وعوض بك. وليس بين أيدينا عدد مضبوط للقزلباش المشتركين في هذه الحرب، ولكن مما لاشك فيه حسب المصادر التاريخية المختلفة أن عدداً كبيراً من الكرد قد هلكوا في هذه الحرب.

وتبين من الوقائع المقدمة أعلاه أن أحد أسباب انكسار المقاتلين الكرد هو عدم معرفة إدارة الأسلحة النارية من قبل القطعات العسكرية بشكل جيد وتمرسها بأصول الحرب وقواعدها بصورة مضبوطة ودفع المقاتلين الكرد الذين كانوا تحت أمرتها إلى خضم أشد المعارك ضراوة. إن القوات المسلحة للحكومة العثمانية وأمراء الكرد غير الراضين عن الحكومة الصفوية في معارك كردستان. وأخيراً ونتيجة اشتراك القوات المسلحة العثمانية ومشاركة أمراء الكرد الفعالة غير الراضين عن الدولة الصفوية في معارك كردستان.

وحسب المعلومات الواردة في «المنشآت السلطانية» فإن محمد پاشا البيقلي بعث لهذه المناسبة برسالة تهنئة إلى السلطان سليم الأول، ومعها رأس قرهخان. وكان قد كتب في رسالته : «لقد توحدت قلوبنا مع أمراء الكرد وانتصرنا على العدو. وها قد أرسلت رأس قرهخان إلى مقام العبودية وكلنا أمل في أن تكون رؤوس أعدائكم قد سحقت تحت رفساتكم دائماً».

جعل السلطان سليم الأول إيالة كردستان مركزاً وشكل على حدة جيش كردستان. وفوض الباشوات العثمانيين قيادة الجيش ووظيفة ميرميرانية (أمير الأمراء) للولايات. وكانوا أصحاب حقوق غير محدودة حيال أمراء الكرد. وقد وضع انتصارالعثمانيين أساس انقسام كردستان رسمياً ومجابهة الشعب الكردي وجهاً لوجه لمصادمات شاقة ومهلكة ... فقد تحولت كردستان إلى ساحة للحرب الإيرانية- العثمانية التي تواصلت زمنا طويلاً. ونسيت تماماً الاتفاقية المعقودة بين أمراء الكرد والسلطان سليم الأول في عهد الغازي السلطان سليمان (١٥١٩-٢٠-١٥٦٦)، وحرم أمراء الكرد من حقوقهم الوراثية للاستقلال الداخلي ضمن إماراتهم واحدة بعد أخرى. وكان على الشعب الكردي أن يتحمل دفع ضرائب فوق طاقته إلى النبلاء العثمانيين. واشتدت في القرن السادس عشر الصراعات الداخلية ذات العلاقة بالتدخل الإيراني- العثماني بين العشائر الكردية.

إن الباشوات العثمانيين الذين أمسوا هم السادة في كردستان كانوا يستغلون

مختلف السبل لضرب العشائر الكردية بعضها بالبعض واستطاعوا أن يبذروا بذور الشقاق والنفاق والفتنة بين أبناء الشعب الواحد الشقيق وعلى سبيل المثال، فإن الوزير فرهاد پاشا أثار الخلاف العام ١٥٨٦ بين عشيرتي الدنبلي والمحمودي. فقد كتب البدليسي بهذا الشأن: «إنه قتل نتيجة الصدام بين العشيرتين أكثر من ٨٠ كردياً (٧٦، ٣١٦-٣١٧). وقتل رئيس عشيرة الدنبلي نظر بك في هذه المصادمة. وإن أخاه قليج بك ،وإن رفع الشكوى فيما يخص هذه القضية، لم يحصل على أية نتيجة. ويذكر البدليسي كذلك: «كنت وقت رفع الشكوى مشتركا في الموضوع. فإن فرهاد پاشا لكي يتستر على القضية بادر إلى عقد الصلح بين المتخاصمين» (٧٦ ,٣١٧).

وعموما فإنه بعد تقسيم كردستان[٢٠] للمرة الأولى (١٥١٤) بين الدولتين الإيرانية والعثمانية فإن مثل هذه الاحداث باتت في تاريخ الشعب الكردي أموراً اعتيادية. فإن السياسة السلبية للدولتين العثمانية والصفوية كلتيهما ضد الشعب الكردي مورست كما هي بعد ذلك من قبل سلاطين آل عثمان وشاهات إيران على السواء وتواصلت من دون أدنى تغيير.

لذا فإن هذه السياسة المقيتة التي ابتدأت منذ أوائل القرن السادس عشر دفعت رؤساء العشائر الكردية إلى خوض كفاح دام لزمن طويل.

وفيما يتعلق بعلاقة الكرد مع الصفويين فقد اخذت أبعاداً سلبية جداً نتيجة السياسة الخاطئة التي اتبعها الشاه إسماعيل الأول في كردستان مع أمراء الكرد.

إن تدهور الوضع الاقتصادي- الاجتماعي والسياسي للغاية في إيران المجاورة لكردستان بسبب التجزئة الإقطاعية والصراع الدامي المستمر بين الإقطاعيات التي كانت تحول دون قيام وحدة سياسية وتعقد العلاقات الداخلية وتعرض المدن والقرى نتيجة الحروب الإقطاعية الداخلية إلى نهب الشعب من كل مايملك من مقوماته الاقتصادية وتردي حياة الكادحين في القرى من سيء إلى أسوء وتصاعد مقاومة الشعب عموما ضد حكومة الآق قويونلو أكثر فأكثر التي لم تكن تستطيع في أخريات أيامها عمل أي شيء لإنهاء هذا الوضع ولم يكن قد بقي منها سوى الاسم فقط، كل ذلك استدعى ظهور الحكومة الصفوية كضرورة تاريخية في مستهل القرن السادس عشر لتوحيد إيران. كان الشاه إسماعيل المدعي بأنه من سلالة الإمام (علي) (ع) من جهة أبيه وبأنه قائد الشيعة والوارث الحقيقي لعرش الآق قويونلو من جهة أمه، عالم شاه بگم، ابنة أوزون حسن مؤسس حكومة الآق قويونلو بدأ بالسعي من أجل إقامة

دولة قوية حديثة. ففي العام ١٤٩٩ قدم مع اتباعه إلى مدينة أردبيل، وبعد سنة استطاع بمعونة ٧٠٠ درويش أن يهزم شيروان شاه فرخ يسار.وفي العام عينه تمكن من احتلال باكو في معركة دامية. ثم غلب ألوند ميرزا وسطا على جميع أمواله ودخل تبريز فأعلن عن نفسه شاهاً على عرش إيران.

بهذا تم قيام الدولة الصفوية في آذربيجان، فأعلن الشاه إسماعيل الأول مذهب الشيعة الإمامية لأول مرة في التاريخ دين الدولة الرسمي للصفويين. فقد أعانه في تأسيس دولته العشائر الناطقة بالتركية من أمثال أوستاجلو وشاملو وتكەلو وذي القدر وأفشار وقاچار، فشكلوا جيش القزلباش. لقد كانت هذه العشائر تشترك في جميع الحروب للتوسع على حساب الدول المجاورة ويعين كل واحد من رؤساء العشائر حاكماً مطلقاً على كل ولاية يتم إحتلالها تباعاً. وهكذا استطاع الشاه إسماعيل أن يستفيد من الدراويش المتعصبين الذين أعانوه في تأسيس دولته الشيعية وانضم إليه الشيعة من سورية وتركية وكردستان مبهورين بشجاعة الشاه إسماعيل، وتمكن الشاه الجديد العام ١٥٠٢ في المعركة التي دارت قرب همدان، من السلطان مراد الآق قويونلو، كما استطاع بعد انتصاره على شيبك خان الأوزبكي أن يحتل المدن: مرو وبلخ وهرات في خراسان. وهكذا استطاع الشاه الصفوي أن يسيطر في مستهل القرن السادس عشر على عدد من الاقطاعيين الذين كانوا قد تجذروا في آذربيجان وإيران ووزع جميع الأراضي التي سيطر عليها على قادة القزلباش، وكان ٧٤ من الولايات والايالات الذين غدوا من الموالين في منتصف القرن السادس عشر من الآذربيجانيين.

لقد بدأ الشاه إسماعيل الصفوي بتحريض شيعة تركية وتعدى، بعد إغارة نور علي خليفة روملو على الولايات أرزنجان وملاطية وخنس في طريق عودته الى آذربيجان بحروبه وتجاوزاته التوسعية حدود آذربيجان وإيران فاستعد لاحتلال گرجستان وكوردستان وأرمينية وعراق العرب. فقد شرع أول مرة باحتلال كوردستان اعتقاداً منه بأنه المالك الحقيقي لعدد من الولايات الكردستانية التي سبق أن احتلتها الدولة الآق قويونلية.

يعتبر القيام باحتلال ولايات كردستان من قبل القزلباش أول ضربة توجه من الدولة الصفوية إلى الكرد الذين كانوا ينظرون إليها بعين الأمل. فلم يمض طويل وقت حتى ابتدر الشاه إلى احتلال الإمارات الكردية الواحدة تلو الأخرى وعهد بها الى القادة القزلباش وفي غضون الأعوام ١٥٠٠-١٥١٠ استطاع أن ينتصر في خمس معارك

كبرى ويحتل، عدا آذربيجان وريران قسماً كبيراً من كردستان وبغداد أيضاً. ولحق بالكرد أكثر مما لحق بغيره من الأضرار. فقد اعتبر كارل ماركس الشاه إسماعيل الصفوي حاكماً محتلاً، فهو يقول: «إنه احتل خلال أربعة عشر عاماً من حكمه أربع عشرة ولاية».

يبرر بعض الباحثين ومنهم رشيد ياسمي سياسة الشاه إسماعيل هذه بذريعة القضاء على الأصول العشائرية للكرد، إلا أن الهدف الحقيقي للشاه لم يكن سوى تثبيت قاعدة حكمه بأي ثمن كان. ولهذا السبب بالذات جوبهت الدولتان المحتلتان الصفوية والعثمانية بمقاومة الشعب الكردي الجدي تماماً هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد كانتا تهدفان من سياستهما تلك، تطبيق تحويل كردستان إلى أيدي زعمائها ونبلائها والقضاء بذلك على الشعب الكردي بطرد أبنائه وإحلال تلك العناصر الغريبة محالهم.

وهكذا فإن السياسة الخاطئة التي كان الصفويون يمارسونها ضد الكرد في مستهل القرن السادس عشر لم تسفر عن أية نتيجة ايجابية. أما السلاطين العثمانيون المستثمرون لهذه الظروف اتبعوا منذ البدء سياسة الخداع والحيل وأعلنوا أنفسهم حماة للشعب الكردي والمدافعين عن المذهب السني، وغدت كردستان بعد هذا مسرحاً للحروب وساحة للصراع المذهبي بين الدولتين وكانت علاقة الكرد مع الشاه إسماعيل الأول في أسوأ مايكون، فوقعت المناطق الجنوبية من كردستان بعد حرب چالديران بيد الصفويين والقسم الغربي منها بيد العثمانيين.

لقد اتخذ الشاه إسماعيل الصفوي إيالة أردلان (سنندج عاصمتها) مركزاً لجمع الضرائب التي تجبى من أمراء الكورد وظهر من القومية الكردية وجوه مشرقة كبيرة. وصفوة القول أن العلاقة الصفوية والعثمانية إنما استقرت على المنوال عينه وتمارس من قبلهما بالوتيرة ذاتها. وتواصلت السياسة نفسها بعدئذٍ من أدنى تغيير.

وفي عهد الشاه إسماعيل الثاني والشاه سلطان محمد الصفويين تعاظم الصراع بين القادة القزلباش وازداد خطر تمزق البلاد على أيدي عدد من الإقطاعيين الصغار فأفاد رؤساء العشائر الكردية من الظرف المستجد هذا فابتدأ بعضهم الكفاح من أجل الاستقلال بينما كان بعضهم يغدون أتباعاً للدولة العثمانية.

ضعفت الدولة الصفوية في عهد الشاه سلطان محمد فغدا أمير بگ رئيس عشيرة المكري شأنه شأن أمراء كردستان ولرستان وأردلان تابعاً في العام ١٥٨٣ للسلطان مراد الثالث. ففي عهده كان قد تم احتلال عدد من مناطق آذربيجان من قبل الجيش

العثماني. وعلى مايذكر بعض المؤرخين أن هذا الاحتلال من قبل السلطان مراد الثالث إنما تم بتحريض وإعداد من قبل رؤساء العشائر الكردية. ويأتي ضمن أسمائهم اسم غازي قران وشاقلي بلبلان وغيرهم بدافع الطمع في امتلاك الأراضي. ولكن حملة السلطان مراد الثالث في الحقيقة لم تكن إلا من أثر التنافس بين الدولتين العثمانية والصفوية على آذربيجان وكردستان وغيرهما على غرار الحملات والحروب التي سبقت. ومما يذكر أن الأكثرية الساحقة من الكرد قد انضموا إلى صف الدولة العثمانية ويقاتلون ضد الدولة الصفوية. ولهذا السبب بالذات قتل كثير من الكرد العام ١٥٨٥ في المعركة التي دارت رحاها في قصبة سعد آباد التابعة لتبريز وچلدر قرب شيروان.

كانت سياسة الصفويين السابقة أيام شاه عباس الأول خلال الأعوام (١٥٨٧م-١٦٢٨م) حيال الكرد بشكل آخر. فقد رحَّل الشاه عباس للدفاع عن بلده ضد هجمات الأوزبگيين ١٥ ألف أسرة كردية إلى خراسان وأقام مع زعماء العشائر الكوردية من جهة ثانية علاقات القرابة وكان يدافع عنهم ضد عدوان العثمانيين، لأن الشاهات الصفويين والسلاطين العثمانيين كانوا قد أيقنوا أن الكرد إنما يبحثون عن شاه أو سلطان عادلين، لذا فإنهما كان يستميلان رؤساء العشائر الكردية إلى صفوفهم ويشنان عليهم الحملات ويمارسان الضغوط ضدهم أكثر فأكثر.

وهكذا فإن الكرد المعرضين بلا هوادة إلى ضغوط الدولتين المجاورتين وحملاتها قد لحقت بهم من الأضرار في الحروب التي دارت بين الصفويين والعثمانيين طوال القرن السادس عشر مالم يلحق بغيرهم من الأقوام وقتل منهم من الرجال مايربو عددهم على الألوف.

وبذلك فإن الحرب الإيرانية- العثمانية الطويلة الأمد أدت إلى شلل الحياة الاقتصادية للكرد وتخلفها لقرون.

أما علاقة العثمانيين مع الكرد فتتمثل في الوجه الآخر من سياسة الظلم والعدوان على كردستان والاضطهاد والقمع والإبادة ضد الشعب الكردي.

لقد كان السلطان بايزيد الأول في مستهل القرن السادس عشر الممثل الثامن للعثمانيين الذين كانوا يحكمون في آسيا الصغرى، وكان السلطان امتداداً للسياسة الرامية الى إقامة إمبراطورية مترامية الأطراف. فقد كان الأساس الاقتصادي للحكومة التي يتزعمها السلطان يشكله أولئك القرويون والمدنيون الكادحون الذين يتم استغلالهم من قبل الإقطاعيين. أما الأساس الاجتماعي فكان يشكله أولئك

الإقطاعيين الكبار المحاربين من مالكي الأرض والطبقة الروحانية العليا والنبلاء الذين يعتمدون على ذلك الاستغلال . كما كان السند الحربي للدولة العثمانية، عدا الكادحين الذين يعيشون حياة البداوة عبارة عن أولئك المواطنين الترك المساقين إلى صفوف الجيش بالإكراه وعبيد الولايات المختلفة.

أما السلطان نفسه فكان هو الكل في عرض البلاد وطولها ولاحد لسلطته. يولِّي أصحاب الأراضي من كبار الاقطاعيين لإدارة الولايات ويمنحهم القاب الباشوات، وكان يعد الصدر الاعظم، أي رئيس الوزراء في البلاط السلطاني أعلى صاحب قرار في الدولة، لذا كان على جميع الوزراء والباشوات الرضوخ لأوامره من دون تردد والاشتراك في جميع الحروب. كان السلاطين الترك الذين تتركز في أيديهم السلطة المطلقة في غاية القسوة واستخدام العنف في ممارسة سياستهم حيال مرؤوسيهم، فكانوا لا يتورعون من ضرب أي كان متى شاءوا من دون حسيب أو رقيب، وما كان أهون عليهم ضرب رئيس الوزراء لمجرد شك السلطان فيه. ومما يروى أنه كان بين هؤلاء السلاطين خنق ١٩شخصاً من إخوته في يوم واحد.

كانت الدولة العثمانية قد وضعت منذ أمد احتلال كردستان الضعيفة من كل الوجوه نصب عينيها لتحقيق أمنيتها في إقامة إمبراطوريتها المنشودة، فهي علاوة على ضمانها اشتراك أمراء الكرد في حروب سلاطين التوسعية العدوانية ضد الصفويين بإقطاعهم الأراضي، كانت كردستان ذات قدرة مادية ومعنوية أيضاً. وكانت هذه الإمكانات المتوافرة فيها مما يلفت نظر الدولة الصفوية الجارة كذلك وكانت الدولة العثمانية، عدا هذه، طامعة في آذربيجان أيضاً من طريق احتلال گرجستان وأرمينية، لأن حرير آذربيجان كماشية كردستان وصوفها وغيرها من نتاجاتها من المواد الخام التي تغني أسواق الشرق والغرب، أضف إلى ذلك (من جهة ثانية)، أنها كانت تبغي السيطرة على الطرق التجارية والحربية بين الشرق والغرب أيضاً. وهكذا فإن هذا التنافس الشديد على كردستان وغيرها بين الدولتين الكبيرتين في القرن السادس عشر وضع كردستان في خطر جدي تماما.

لقد اصطنع السلطان بايزيد الثاني بادئ الأمر على عكس الشاه اسماعيل الأول سياسة اللين والخديعة حيال الكرد فكف عن سياسة استخدام السلاح ضدهم. ولضمان استمالة جميع أمرائهم ورؤسائهم العشائريين اعتبر نفسه الوريث الشرعي للعالم الإسلامي والمدافع الحقيقي عن المذهب السني. فقد قدمت حكومة السلطان، بهدف

احتلال كردستان، نواياها الحقيقية بشعار الدين، وقررت الإفادة من أمراء الكرد الذين كانوا ناقمين على الدولة الصفوية. ولعل الرسالة التي وجهها السلطان بايزيد الثاني العام ١٥٣١ إلى أمير جمشكزك، حاجي رستم بك توضح ثانية هذه الحقيقة بجلاء[٢١].

كان السلطان يريد من حاجي رستم بك أن يقوم بمهمة العمالة والجاسوسية ضد الحكومة الصفوية، إلا أنه رفض طلبه، فسلم إمارته العام ١٥٠٩م بيد الشاه إسماعيل الصفوي.

أما السلطان بايزيد الثاني فقد حرك أمراء الكرد ورؤساء العشائر الكردية عن طريق مولانا الملا إدريس البدليسي ضد الدولة الصفوية. وهكذا أمست كردستان مسرحاً للدعاية الدينية وساحة للحرب الباردة بين پادشاهي دولتين ذواتي سياستين متضادتين. ففي هذا العهد توفي السلطان بايزيد الثاني فخلفه ابنه سليم الأول الملقب لشراسته وقسوته، بياوز(يوز - يوزا، في السريانية والآرامية، النمر). اتبع ياوز سياسة العنف والقسوة ذاتها التي مارسها والده من قبله ضد الكرد. من كان يجرؤ أن يبدي أدنى تعاطف مع الشيعة ؟ كان مصيره قطع رأسه وسلخ جلده حياً من دون تردد. فقد أمر ان يقتل أو يسجن من الشيعة من أعمارهم فوق ٧ سنوات وتحت ٧٠ سنة. فقتل٤٠ ألفاً منهم، أما من بقي على قيد الحياة منهم فقد أعلمت نواصيهم كيًّا ونُفوا إلى القطاع الأوروبي من الدولة العثمانية. فقدكان ياوز قد أمر في الاجتماع الذَي عقده مع مستشاريه أن يتم التخلص قبل كل شيء من طائفة الشيعة جميعاً لتخليص الدنيا من شرهم (؟). ولم يقف السلطان ياوز عند هذا الحد بل أصدر الفرامين السلطانية بتحريم أي علاقة لرعاياه مع رعايا الشاه إسماعيل الصفوي وأعلن عن مذهب الشيعة أمراً خارجاً على القانون والشيعي كافراً يجب قتله [٢٢]، وبهذا نظف السلطان سليم الأول داخل البلاد العثمانية من الموالين للشيعة واستكمل أعمال الدعاية بين أمراء الكرد وزعمائهم العشائريين. وعلى إثر رسالة بعث بها السلطان إلى الشاه إسماعيل الصفوي وإهمال المرسل إليه الإجابة على الرسالة التي كانت بشأن المطالبة باسترجاع بعض الأماكن التي احتلها القزلباش اتخذ السلطان ذلك ذريعة لشن حملة غادرة على آذربيجان. فقد كتب كارل ماركس بهذا الصدد: «كانت قوات الدولة العثمانية برمتها مشتركة في هذه الحملة الحربية»[٢٣].

وحسب المصادر، كان يشترك في هذه الحرب أكثر من ٢٠٠ ألف مقاتل. وكان

معظم رؤساء الكرد مشتركين بأسلحتهم الخاصة. كان السلطان ياوز قد جهز جيشه بالأسلحة النارية الحديثة. فقد انطلق العام ١٥١٤م من أرض كردستان في حملته على آذربيجان. وحسب بعض المصادر التركية أن القوات غير النظامية في جيش السلطان ياوز تمردت فلم تتقدم إلى المواقع الأمامية من جبهة القتال وهي غير راغبة في الاقتتال مع شعب آذربيجان. فقتل السلطان من رجاله الكبار المقربين إليه بسبب هذا التمرد كلاً من همدم پاشا وإسكندر پاشا وباليمز عثمان آغا السكبان باشي مخاطباً جيشه: «ها أنا متقدم إلى أمام، فمن يجد في نفسه الرجولة فليتبعني»، فانطلق بجواده. وفي العام ١٥١٤م تقابل جيش السلطان في مسافة ١٤٠ كم من تبريز مع جيش الشاه إسماعيل الصفوي في الموقع المسمى چالديران، فابتدأت حرب عظيمة بين الجيشين تقشعرُّ منها الأبدان. كتب الجونابادي بصددها:« إنها كانت رهيبة بالنسبة إلى هذا العهد جداً: بما ان جيش الروم (العثماني) كان خارج المستطاع ويطلق في رمشة عين خمسة أو ستة آلاف عيار ناري في آن واحد لف الظلام الجو تماماً من أثر الدخان». لذا فإن القزلباش رغم استماتتهم في القتال وبلائهم فيه بلاءً حسناً، لم يستطيعوا المقاومة، فاضطروا إلى الانسحاب. وحسب معلومات حسن روملو قتل من الطرفين خمسة الاف رجل واسر الكثير من المقاتلين. وكان بين القتلى حسين بك، مربي الشاه إسماعيل الأول، ومحمد خان أوستاجلو، حاكم دياربكر أيضاً. وبعد الانتصار على الصفويين في چالديران هجم الجيش العثماني على تبريز واحتلها، وبعد مكوثه ستة أيام فيها انسحب منها، لأن السلطان كان قد عقد العزم على احتلال كردستان وحلب والشام ومصر أيضاً. وحسب الكاتب التركي سليم ثابت لم تنته حرب احتلال هذه البلدان حتى العام ١٥١٨م. وبعد أن تحولت كردستان إلى تابع للحكم العثماني شكل مايسمى بجيش كردستان علاوة على الاشتراك الفعلي لجميع العشائر والقبائل الكردية في حرب السلطان، وسميت إيالة دياربكر خزانة دياربكر لجباية الضرائب والخراج وجمعها فيها للدولة العثمانية.

وهكذا فقد كان يتعين على الجيش الكردستاني المشاركة في جميع حروب السلطان وحضوره في الصف الأول من جبهة القتال. وكانت حكومة السلطان، عدا احتلالات الشرق الأوسط تقاتل في أوروبا أيضاً ضد اليونانيين والنمساويين والمجريين والصربيين والإيطاليين والألمان والروس، وبذلك استطاع الجيش العثماني بفضل الأسلحة النارية التي لم تكن متوفرة يومئذ في البلدان الشرقية إلا نادراً، أن يحتل قسماً من الشرقين

الأدنى والأوسط، بيد أن حروب السلطان العثماني ضد شاهات الدولة الصفوية أنقذت إلى حد ما أوروبا من خطر العثمانيين. لذا يمكن القول، إن الكرد إنما اشتركوا في جميع حروب الدولة العثمانية.

وحسب بعض المؤرخين أن الحرب العثمانية ابتدأت منذ مستهل القرن السادس عشر ولم تكن ثمة حرب وقعت لم تهرق فيها دماء الكرد. ومما يزيد في المرارة أن بعض المؤرخين يدعون أن هذه الحروب التي تواصلت أكثر من ٢٠٠ سنة هي حرب الشيعة والسنة وكانت من أجل إسعاد الناس وليست بهدف احتلال أراضي الغير. فقد ذكر جهانگير زينل أن السلطان سليم الأول الذي أسس في أوروبا إمبراطورية عريضة لم يكن هدفه سوى تحرير كردستان وآذربيجان من نير الفرس والعجم. ولكن تأريخ الكرد برهن زيف هذه الادعاءات وانكشفت نوايا السلاطين التوسعية في ماسمي حروب التحرير المزعوم هذه.

إن الحروب العثمانية – الإيرانية في القرن السادس عشر لم تكن في الحقيقة بطبيعتها إلا نمطاً آخر من حروب إقطاعي اوروبا في القرنين الحادي عشر والثالث عشر باسم الصليب.

لقد استمرت الحال بعد مجيء السلطان سليمان غازي بن السلطان سليم على السياسة نفسها فقد واصل السلطان سليمان القانوني حروبه على آذربيجان وهاجمها أربع كرات، وغدت كردستان خلال كل هذه الهجمات ساحة حرب مدمرة أكلت الحرث والنسل فتردى الوضع الاقتصادي- الاجتماعي أكثر فأكثر وازداد الضغط السياسي وتضييق الخناق على الشعب الكردي أكثر من ذي قبل، فنسيت الاتفاقية التي منح بموجبها الكرد الحكم الذاتي لإدارة شؤون كردستان وشن العدوان على الكرد بصورة مكشوفة.

لقد جرد السلطان سليمان القانوني العام ١٥٣١م جيشاً قوامه ٥٠ ألف مقاتل بقيادة فيل پاشا، حاكم دياربكر وأويلمەنكەلو على بدليس لاحتلالها. ونتيجة حرب تواصلت ثلاث سنوات قتل شرفخان، امير بدليس وراح ضحيتها الألوف من الأسر والبيوتات الكردية، بيد أن امارة بدليس ظلت بيد إمارة الأمير شمس الدين بن شرف الدين، أبي شرفخان البدليسي، مؤلف كتاب «الشرفنامة» المعروف. وفي العام ١٥٣٥م احتل السلطان سليمان هذه الإمارة وصادرها بشتى الحيل والخدع وأوكلها لاويلمه تكەلو. ولكن الأمير شمس الدين لم يتردد في الانضمام إلى صف الشاه

طهماسب الأول. وقتل السلطان كذلك سبحان بك أمير چپاقچور وأهدى الإمارة أحد النبلاء العثمانيين إمارته. وكثيراً ما كان يضيق على بعض رؤساء العشائر الكوردية فينتزع من أيديهم أراضيهم ببعض الأعذار والذرائع الغريبة. فقد قتل سلطان شاهم بك، رئيس عشيرة رزقي بسبب بعض الحجج الواهية واحتل امارته ظلماً وعدوانا واهداها إلى أحد أعوانه من الترك.

وكان طبيعياً أن يهب الشعب الكردي ضد هذا الظلم والعدوان وأن يحمل السلاح أخيراً فإما أن يتصدى للحكم العثماني الغاشم وإما أن يترك وطنه. (ما أشبه اليوم بالبارحة!). فقد ذكر البدليسي إن السلطان سليمان غازي احتل إمارة آكاكيس واهداها إلى أحد نبلائه فجن من أثر ذلك أوركمز بك، المالك الحقيقي للإمارة، كما هاجر بهاء الدين وطنه أيضاً لاجئا الى بلاد العرب.

وكذلك كان مألوفا لدى السلاطين العثمانيين أن يأخذوا رشاوى طائلة من أمراء الكرد ويبيعوا الإمارة الواحدة لعدد من الأشخاص فيثيروا بذلك العداوة والبغضاء والفتن بين أبناء الشعب الواحد. فعلى سبيل المثال باع العثمانيون قرية مينار التابعة لإمارة گردگان، الأمر الذي أدى إلى اقتتال العشائر الكردية في مابينها واحتدام الصراع القبلي الدموي بين ناصر بك وشاقلي بك، إلا أن شاقلي بك بادر بالذهاب إلى إسطنبول فأرشى السلطان بمبالغ كبيرة وهدايا ثمينة وانتصر بذلك على ناصر بك. يذكر البدليسي أن السلطان قتل ناصر بك وثلاثة من أصحابه فعلق جثثهم في مفارق الطرق لإرهاب الناس.

وأخيرا وليس آخرا فقد هاجم السلطان سليمان غازي آذربيجان واحتل العام ١٥٣٤م بغداد وبذلك تحولت كردستان تماما الى ساحة حرب ونهبت العشائر والقبائل الكردية عن بكرة أبيها (انظر. مذكرات مأمون بك بن بگه بك/ ترجمة شكور مصطفى وجميل الروژبياني. وغدت الحرب العثمانية- الإيرانية أسوأ كارثة وأشد حدث مفعم بالبؤس والشقاء للشعب الكردي. من الذي كان يجني ثمار هذه الحروب ؟ لم يكن بالطبع غير الأشراف والنبلاء العثمانيين والقزلباش وعدد بين الفينة والفينة، من رؤساء العشائر الكردية. إن هؤلاء كانوا يملؤون جيوبهم ويكدسون ثرواتهم على حساب كادحي كردستان. فإن بدر بك، حاكم جزرة، كما يذكر البدليسي كان مشتركا في جميع الحملات الحربية التي شنها السلطان سليمان غازي العام ١٥٣٣م على تبريز وبغداد ووان. فكان مصروفاته اليومية لديوانه ٥٠٠ درهم ومصروفات فطوره وعشائه ١٠٠

درهم. ومعلوم أن هذه المصروفات الباهظة لم تكن لتسد هذه الحاجات إلا من النهب والسلب في الحروب و كدِّ الكادحين.

وهكذا فإن القرن السادس عشر، كما تذكر المصادر، في تأريخ الشعب الكردي هو مفتاح عهد ضرب الكرد الأول العصيب.ومنذ هذا القرن فإن الإمارات الكردية التي لم تكن لتتمتع باستقلالها الناجز فقدت استقلالها تماما إلا عددا من العشائر والقبائل الكردية التي استطاعت أن تحافظ على استقلالها في خضمِّ تعرضها إلى مسلسل طويل من التقتيل والإبادة والقيام بالعصيانات والتمردات.

ولم تكن كردستان وحدها عرضة لحملات العثمانيين العدوانية بل كانت أرمينية وجورجيا هما أيضاً عرضة لسلسلة من الهجمات والنهب والسلب والحرق. ففي العام ١٥٤٣م هاجم موسى پاشا، حاكم أرضروم مرات عدة، جورجيا ولكن الشعب الجورجي انتصر في المعركة وقتل فيها موسى پاشا مما أثار حفيظة السلطان سليمان غازي جدا، فأمر بحرق جورجيا. فقد كتب حسن روملو: «إن خادم پاشا هاجم جورجيا وأحرق عددا من القرى والقصبات ودمرها، فعاد إلى قواعده.» وكان شعب جورجيا طالما تعرض الى حملات العثمانيين الوحشية من أجل الذود عن حياض وطنه واستقلاله.

وفي العام ١٥٤٩م، كما تشير إليه المصادر هاجم إسكندر پاشا، حاكم وان برفقة جيش يريڤان ونهب عددا من القرى الأرمينية وأحرقها.

ويتبين من هذا كله أن الدولتين العثمانية والإيرانية إضافة إلى أعمال النهب والسلب لبلدان تلك الشعوب الأقل عدداً تقضيان بالمكشوف على تلك الشعوب وتمحوانها من الوجود. ولكن ماكان يبعث على الأسى والمرارة أن العشائر والقبائل الكردية كلما هدأت الحرب نوعا ما بين الدولتين مؤقتاً تحينت الفرص للاشتباك بعضها مع بعض في التناحر والاقتتال في ما بينها.

وكانت الدولة العثمانية كلما وجدت عشيرة أو قبيلة كردية تعادي الدولة الصفوية رحبت على الفور بها طيلة القرن السادس عشر وأهدت إليها مختلف الخلع والهدايا الثمينة والعكس صحيح. جاء في «الشرفنامة» « إن السلطان سليمان غازي قد أجرى لمحمد خان رئيس عشيرة المحمودي الذي قلب للشاه طهماسب الأول ظهر المجنَّ وإنحاز إليه (١٠٠) آقچه يومياً لتأمين متطلباته.»

وقد هاجم السلطان العام ١٥٤١م عشيرة المكري التابعة للشاه طهماسب ونهب خلال هذا الهجوم إيالة أردلان وشرد عدداً كبيراً من الأسر الكردية التي ظلت تهيم على

وجهها من دون ملاذ.

ومن هنا نجد أن هذه الأوضاع الطويلة الأمد هيأت الأرضية لاستعباد شعب من أقدم الشعوب في الشرق مثل الشعب الكردي وإضطهاده.

استطاعت سياسة السلطان أن تثير أبناء الشعب الواحد بعضهم ضد بعض وتحرضهم للاقتتال في ما بينهم دوماً وبالتالي أن يمن عليهم السلطان أنه يسمح لهم برعي مواشيهم معتبراً هذا من باب المكافأة لهم.

لقد أشعل السلطان سليمان غازي لاحتلال إيالة أردلان نار أربع حروب، ولكنه لم يستطع أن يخضعها الى دائرة نفوذه إلا العام ١٥٦١م، كما يذكر «الشرفنامة».

وكانت الحكومة العثمانية لا تمنح أمراء الكرد حق التمتع بحقوقهم الوراثية في إدارة إماراتهم إلا شريطة مشاركتهم في الحروب التي كانت تشنها ضد الدولة الصفوية، بل لم تكن لتقر لهم بهذه الحقوق إلا بعد انتصارهم في هذه الحروب. ففي العام ١٥٦٣م لم يمنح الوزير إسكندر زينل بك إمارة حكاري إلا بعد أن نفذ هجومه على آذربيجان وكردستان ونهبهم. فقد اشتبك زينل بك في منطقة سلماس مع أخيه بايندور بك، فاندحر بايندر بك في المعركة التي دارت رحاها بين الأخوين، فقتل عدد كبير من الكرد واسروا، فقدم زينل بك الى الوزير ومعه غنائم كثيرة ليقدمها إليه. بهذه الشاكلة عين أمير حكاري حسب «الشرفنامة».

نعم تحققت في عهد السلطان سليم الثاني، للكرد حياة مستقرة ومن دون حرب نسبياً إلا أنها سرعان ما اندلعت مجددا بين الدولتين العثمانية والإيرانية كعادتهما في عهد السلطان مراد الثالث فابتدأت حملة إبادة الكرد عموماً.

انتهز السلطان مراد الثالث فرصة ضعف الدولة الصفوية، فأثار كرد كردستان إيران ضدها موكلاً خسرو پاشا، أمير أمراء ولاية وان بتنفيذ هذه المهمة، ثم هاجم مناطق سلماس وخوي وأورمية فاستعد بعد ذلك كرد حوالي سولدوز وميانداوآب ومراغه على الدولة الإيرانية.

وفي العام ذاته أرسل زينل بك أمير حكاري مجددا حملة النهب على آذربيجان، فانتهب مناطق وند، وگرگر وزونوي(؟)، ثم قتل على أيدي القزلباش. ودفع ابنه، كما يذكر «الشرفنامة» لاستعادة/ إمارة ابيه مبالغ طائلة للحكومة العثمانية.

وبذلك أبطل سلاطين آل عثمان قرار السلطان سليم ياوز، فكانوا لايعطون أحداً أو الوارث نفسه مقام الإمارة المتوارث عن الآباء والأجداد إلا مقابل مبالغ طائلة من النقود

أو يعطى أحد الاشراف العثمانيين. ومن هنا فإن عدداً من أمراء الأمراء وأمراء طائفة من إيالات وولايات كردستان في منتصف القرن السادس عشر هم من الباشوات العثمانيين. فإن علي پاشا أمير أمراء الموصل لم يُعِد إمارة حزو إلى وارثها الحقيقي محمد بك إلا بعد أن أخذ منه هدايا كبيرة. ومع ذلك فلم تشبع هذه الهدايا جشع الپاشا (الشرفنامة/٥٦، ٢٠٥-٢٠٦). كما أن خسرو پاشا أمير أمراء إيالة وان اضطر ملك سليمان أمير حصن كيف إلى التنازل عن حق إمارته الموروث، «فباعه إمارة الرها مقابل سبع مئة آقجه، غير أنه صادرها منه مجدداً» (الشرفنامة/ ٧٦، ١٦٠).

كان موظفو الدولة العثمانية يأخذون من رؤساء العشائر الكردية مبالغ طائلة من دون أن ينجزوا لهم أي عمل. «أن الحسن، أمير خزان، باع قرى ولايته الجميلة المنتجة الخصبة المتوارثة من سلفه، فصرفها كلها على المسؤولين والأشراف العثمانيين، ولكنه رغم كل هذه الرشاوى لم يحقق شيئاً (الشرفنامة/٢١٦-٢١٧).

ومما يذكر أن بعض رؤساء العشائر الكردية وأمراء الكرد لكي يحببوا أنفسهم الى السلطان العثماني ويداهنوه بغية تحاشي غضبه وعقابه، كانوا يشنون الحملات على مناطق كردستان إيران فينهبون ويأخذون ماغنموه من هذه الحملات إلى السلطان ليشبعوا نهمه أكثر فأكثر. لقد أراد السلطان مراد الثالث العام ١٥٨١م أن يعاقب سليمان أمير سرحان. وما إن تناهى النبأ إلى سليمان حتى حمل على قرى القزلباش فانتهبها. ولم يعفُ عنه السلطان إلا مقابل غنائم كبيرة انتهبها من تلك القرى وقدمها له (الشرفنامة ٧٦، ٢٧٩-٢٨٠). وهكذا فإن هذه الحقائق تؤكد مجددا العلاقة السلبية للسلاطين العثمانيين مع الشعب الكردي. وفوق كل ذلك فإن السلطان بعد أن غصب إيالات وولايات كردستان الخصبة بصورة رسمية اختص لنفسه ضرائب عدد من الأراضي المسجلة بأسماء مالكيها وفق سندات التسجيل العقاري. «كان يتعين وضع ما يؤخذ من كفار (؟) ميافارقين وجسقه من الجزية والخراج إلى السلطان» (الشرفنامة/ ٧٦، ٢٤٧). وإن ضرائب مثل هذه المناطق ذات السندات لم تكن لتقبل عينيات، بل كان يتعين تسديدها نقوداً (الشرفنامة/٧٦، ٣٥٤).

إن حروب العثمانيين والصفويين التي اندلعت نيرانها في مستهل القرن السادس عشر لم تقف عند تخريب كردستان وأرمينية وجورجيا وإنما كانت تؤدي إلى تخريب الحياة الاقتصادية لكادحي الدولتين المتحاربتين أيضاً، لأن ثقل الحروب كان يقع على كاهل جماهير الشعب. ولهذا السبب بالذات كانت الجماهير الواسعة الناقمة على هذا

الوضع المتردي جداً تتمرد على الحكومة وتحمل السلاح ضدها، بل تمد أيديها إلى التخريب والإرهاب دوماً.

في العام ١٩٦٨م قتل محمد پاشا صوقوللو على يد معتوه مختل العقل. وفيما بعد تردى الوضع من سيء إلى أسوأ ولم يبق في خزانة الدولة، كما يقول وزير خان، الكاتب التركي، شيء يذكر (١٢٨، ٧٧). غير أن الكاتب التركي فهو من دون أدنى شك إنما اعتبر القاتل، مختل العقل رياءً وزوراً، لأن سير الأحداث أكدت أن الوزير لم يقتل إلا عن أيدي الوطنيين الناقمين وليس عن يد المختل العقل، لأن التمرد في ذلك العهد لم يكن يقتصر على الجماهير الناقمة حسب بل شمل حتى العسكريين في صفوف الجيش العثماني أيضاً.

حقاً، إن الجيش العثماني قد فقدت همته بصراحة عن خوض القتال في خضم المصائب والنكبات التي لفَّت البلاد من أقصاها الى أقصاها ووقف عاجزاً تماما عن قمع التمردات والقضاء على العصاة. فإن السلطان مراد الثالث ساق العام ١٥٨٣م أمراء كردستان بقيادة حسن پاشا لنهب خزانة تفليس عاصمة جورجيا. فقد كتب البدليسي الذي كان هو نفسه مشتركا في عملية النهب هذه: «كان الجيش العثماني أكثر عدداً من الجيش الجورجي ومع ذلك فقد انتصر الجورجيون» (٧٦، ٢٧٠-٢٧١).

وحسب بعض الكُتاب الترك حدثت في عهد السلطان مراد الثالث عشرة عصيانات (٥٩، ٤٣٢، ٤٣٦).

أما عهد السلطان محمد الثالث (١٥٩٤-٩٥-٦٦٣) فكان حافلاً بشتى العصيانات في الولايات العثمانية والولايات التي احتلها العثمانيون في البلدان المجاورة وغدا العصيان من الرواج بحيث كان في مستطاع كل من هب ودب ان يجمع حوله عدداً من العصاة لينقضَّ بهم على الدولة العثمانية. فقد كان السلطان كثيراً ما يجرد على هذه العصيانات جيشا عرمرما، ولكنه لم يكن يجن في غالب الأحيان من ذلك غير الفشل والخسران. يقول سليم ثابت: «إن الجيش لعدم رغبته في خوض القتال من كل قلبه ضد العصاة غلب هزم شر هزيمة» (٧٤، ٢١٦). كما يكتب أحمد راسم: «في اليوم الذي اعتلى فيه السلطان محمد الثالث عرش السلطنة العثمانية أعدم كثيراً من الناس وقطع أيدي الكثيرين لأرهاب الناس. يواصل الكاتب التركي قوله: «كانت السياسة هكذا تقتضي لإدارة شؤون البلد الداخلية».

بالترافق مع التمردات والانتفاضات التي كانت تحدث باستمرار منذ مستهل القرن

السادس عشر تثور العشائر والقبائل الكردية هي الأخرى وتخوض الكفاح ضد الدولتين العثمانية والإيرانية من أجل التخلص من الظلم والعدوان والإبادة وغدت طائفة من هذه العصيانات والانتفاضات لهذه العشائر والقبائل في هذا العهد أساساً للحركة القومية الكردية التحررية فيما بعد التي تتواصل منذ القرون التي سبقتها ومازالت تتواصل بكل ضراوتها.

ولعل الشاعر التركي المغفور، ضيا باشا خير معبر عما كان يعاني منه الشعب الكردي على أيدي مضطهديه الترك والعجم:

لاتثق بإقبال الدنيا وإدبارها
فإن الفلك لن يدور في مسار واحد، فلابد أن يخرج من مساره يوماً،
ولابد أن يبصر الظالم عاقبة ظلمه لا محال
ولابد أن يتهدم هذا البقاء لامحال (٨٩، ٩٤)

منذ مستهل القرن السادس عشر حدثت في حياة الشعب الكردي طائفة من الأحداث جعلته في مواجهة مسلسل من الحروب والويلات. وعقب حرب چالديران مباشرة في كردستان (١٥١٤م) قسم هذا البلد قسمين، ففقد عدد من الإمارات الكردية استقلالها، وإن فرض التبعية على كردستان للعثمانيين والصفويين لم تأت للكرد بالسعادة وإنما عاقت التطور الاقتصادي- الاجتماعي لوطنهم تماماً واستحالت كردستان إلى ساحة حرب طويلة مدمرة وغدا شعبها الكردي، القوة المادية والمعنوية لهذه الحرب. فقد أحرق عدد كبير من الولايات ونهيت عن بكرة أبيها. وفرضت على الشعب الكردي ضرائب وإتاوات لا تطاق وحرضت الدولتان العثمانية والصفوية أبناء الشعب الواحد بعضهم ضد البعض وزادتا نار البغضاء والتناحر ضراماً.

وطبقاً للمصادر الموثوقة فقد راح ضحية هذه الحروب المتواصلة بين الدولتين طيلة القرن السادس عشر والاقتتال العشائري بين أبناء الشعب الكردي نفسه أكثر من ١١٢ ألف إنسان ولم يبق للأمير الكردي على سبيل المثال، جانبولاد من أبنائه البالغ عددهم ٧٠ سوى عشرة منهم. ويتجلى من هذا أنه نتيجة التدخل السافر للعثمانيين والصفويين في كردستان تناقصت القوى البشرية فيها إلى حد مرعب وتدهور الوضع الاقتصادي تماماً وأمسى مجرد وجود هذا الشعب مهدداً بخطر جدي.

إن من الأحداث المروعة التي استنفدت طاقات الشعب الكردي في القرن السادس عشر عنت مسؤولي الدولة العثمانية الإداريين للسلاطين والشاهات وطغيانهم

ووحشيتهم المعروفة وابادتهم لأبناء الشعب الكردي الجماعية من دون أدنى تردد.

وحسب المصادر أنه قتل بدل تركي اغتيل أيام السلطان مراد الثالث مئة شخص من أشراف الكرد، وأضيفت ثرواتهم وممتلكاتهم جميعا إلى خزانة السلطان.

حقاً كان الشعب الكردي ضحية الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية وهو يحترق بنار هذا الصراع الدموي. فعلى سبيل المثال ما إن شك الشاه طهماسب الأول في ميل عشيرة الدنبلي نحو العثمانيين حتى قتل منهم دفعة واحدة ٤٠٠ شخص من ضمنهم أحمد بك وإسماعيل بك وجعفر بك. كما قتل ٣٠ شخصا ممن كانوا يخدمون في بلاط الشاه. وهكذا فقد امتلأ تاريخ هذا الشعب منذ إخضاعه إلى تبعية هاتين الدولتين منذ بداءة القرن السادس عشر بأحداث مروعة. وفي القرن ذاته ازداد التدخل العثماني- الصفوي في مصير الكرد يوما بعد يوم ودفع جميع العشائر والقبائل الكردية إلى أن يسارع إلى خوض الكفاح من أجل استقلالها. وكانت هذه الحركات في القرن السادس عشر التي يخوضها الكرد ضد التدخل الأجنبي كما كانت في الماضي وفي مستوى أهمية عصيانات القرويين وانتقاضاتهم يقودها أيضاً زعماء العشائر ورؤساء القبائل الكردية وكانوا هم طلائعها.

إن عشيرة ملكيش في مفتتح القرن السادس عشر هي أول عشيرة تمردت ضد التدخل الأجنبي، لأن نور علي خليفة الذي عين العام ١٥٠٦م من قبل الشاه إسماعيل الأول حاكما على جمشكزك وقائد القزلباش كان يتعامل مع الكرد بمنتهى الوحشية والهمجية فيقوم بالقتل الجماعي من دون تردد متى شاء. فقد هبت عشيرة ملكيش ضده لوضع نهاية لطغيان نور علي خليفة مطالبة إزاحته من إمارة جمشكزك وإعادة أميرها الكردي السابق رستم بك. فاستدعي الأمير المذكور إلى كردستان، فأرسل بهذا الشأن ممثلون عنها الى العراق وأصفهان، غير أن الشروع في حرب چالديران أخمد هذه الحركة، ولكنها أمست في الواقع مقدمة للكفاح الذي بدأ ضد الأجنبي مستقبلاً، ومازال يواصل مسيرته ضده ولم ينته بعد. فإن حركة الانتفاضات العشائرية عقب التقسيم الأول لكردستان إنما اشتدت أكثر فأكثر وتعاظم واتسع نطاقها، فحدثت انتفاضات عشائرية عدة، منها انتفاضة الروژكيين.

لقد احتل السلطان سليمان غازي العام ١٥٣٥م امارة بدليس ولكن رؤساء العشائر الكردية التابعة لهذه الإمارة لم يطأطئوا رؤوسهم امام السلطان فحمل ابناؤها السلاح قاطبة في وجهه.

كان المنتفضون يطالبون في انتفاضتهم التي تواصلت ثلاث سنوات الدولة العثمانية طرد موظفيها من إمارتهم واستقلالها العشائري عن النفوذ العثماني. وكان السلطان إمعاناً في قمعهم أعدم كثيراً من أمراء الكرد للقتال ضدهم إلا أن ذلك لم يسفر عن أية نتيجة، لأن الشعب الكردي المساق جبراً إلى اقتتال الإخوة لم يكونوا يقاتلون بجد، فكانوا كلما سنحت لهم فرصة انضموا إلى صفوف المنتفضين مما اضطر السلطان إلى الكف عن سياسة القمع والتقتيل فبدأ يتشبث بالخداع والنصب.

ومما يذكر البدليسي أن السلطان الفاشل الخاسر في سياسة اصطناع القوة والضعف أبلغ المنتفضين الكرد من طريق بهاء الدين، أمير حزو أنه سيعفو عنهم من جهة وأعطى من جهة ثانية إبراهيم بك وقاسم بك قائدي المنتفضين وعداً معسولاً، وبهذا تم احتلال بدليس.

وباحتلال قلعة بدليس العام ١٥٣٠م خمدت حركة التمرد والانتفاضة وبدلاً من أن يعفو السلطان عن المتمردين المنتفضين عاقبهم شر عقاب. وحسب البدليسي أن ٤٠٠ مقاتل من عشيرة الروژكي اشتركوا في هذه الانتفاضة فاضطروا إلى أن يتركوا وطنهم ولجأوا إلى آذربيجان وكردستان واستطاعوا أن ينقذوا أنفسهم من نقمة السلطان، ولكن مع ذلك أعدم السلطان كثيراً من المتمرين فوقعت الإمارة في أسر العثمانيين.

وبعد تمرد عشيرة الروژكي استمرت عصيانات وانتفاضات العشائر الكردية وكلما أمعن مسؤولو الشاه والسلطان في تضييق الخناق على الكرد اشتدت حركتهم الكفاحية وتعاظمت مقاومتهم بالدرجة ذاتها، ذلك أن الضرائب والإتاوات التي كانت تجبى من أمراء الكرد في القرن السادس عشر قد استنفذت كل قواهم، فكان يعدم كل من يعجز عن دفعها ويصادر ثرواتهم وممتلكاتهم من دون ادنى تردد. ولعل ذلك كان السبب الذي عمل على تقوية حركات التمرد ضد دفع الضرائب والاتاوات في منتصف القرن السادس عشر، حتى شملت العشائر والقبائل الكردية في كردستان إيران أيضاً.

في العام ١٥٦٤م كان الشاه طهماسب يطالب أمير لرستان الكبرى بعشرة آلاف رأس بغل ومحمدي بك أمير لرستان الصغرى أيضاً، إلا أنه لعجز الأخير عن دفع هذه الضريبة الباهظة سجن الشاه مئة شخص من أشراف لرستان. فقد ذكر قاضي أحمد قزويني أن محمدي بك كان من السخاء وحب الخير يمدُّ زوار العتبات المقدسة المارين بلرستان بكل مايحتاجون من العون والمساعدة ولكنه ألقي في سجن أله موت العام ١٥٦٤م. وبذلك أصبح هذا الحدث سبباً لإثارة العشائر وبالتالي حمل السلاح والتمرد.

فكان الناس يعتقدون أنه لو خففت عن كاهل إماراتهم الضرائب لتغيرت حياتهم نوعاً ما. ولهذا السبب بالذات كانوا ينافحون ضد هذه الضرائب والإتاوات الباهظة.

وإذ سجن محمدي بك مع أشراف لرستان في قلعة أله موت شرع أبناؤه الثلاثة، جهانگير وشاويردي وعلي خان في منطقة خرم آباد بالكفاح المسلح. وكان معظم العشائر والقبائل الكردية يشارك في هذه الحركة. وكان الناس يطالبون جميعاً بإطلاق سراح محمدي بك ورفاقه ويثورون في همدان وإصفهان والمناطق الأخرى على موظفي الشاه ويقتلونهم.

وفي العهد ذاته بدأت العصيانات ضد الصفويين في جيلان أيضاً فانتاب الشاه طهماسب الذعر والهلع من احتمال تفاقم العصيان واستعد جديا لمواجهة الموقف وقمع الحركة إلا أن الحل الذي صار إليه لم يجده نفعاً. وعلى هذا فقد أقنع رجال البلاط وشاه رستم بك الشاه أن الحل الوحيد لإنهاء الانتفاضة إنما هو إطلاق سراح محمدي بك ورفاقه من السجن. وفعلاً أخلى الشاه سبيلهما وبذلك قمعت انتفاضة لرستان وانهيت وعفا الشاه عن محمدي بك بفضل هذه الانتفاضة عن الضرائب الباهظة التي كان عليه أن يسددها للشاه وعين أميراً مستقلاً على لرستان.

ومما يذكر أن العشائر والقبائل الكردية التي كانت تنافح ضد دفع الضرائب الباهظة لحكومتي الشاه والسلطان ربما اتحدت أحياناً في هذه المنافحة وأحرزت انتصارات عليهما. وعلى مايذكر إسكندر بك منشي أن الكرد ما إن يحسوا الخطر حتى يتحدوا ضد العدو المشترك ولكنهم سرعان مايعودون إلى التناحر بمجرد أن يزول عنهم خطر العدو.إلا أن هذه الظاهرة لا تفسر على عواهنها، وإنما يجب تحليلها ذاتياً وموضوعياً لاستكناه الحقيقية جدلياً وليس ذرف الدموع تحت قناع التشفي لمسكنة الشعب الكردي الذي كتب بعض الصفحات عنه أيام الشاه عباس الأول في كتابه «عالم آراى عباسى. انظر المقدمتين المترجمتين للشاعر الكردي محمد أمين شيخ الإسلام (هيمن) للكتابين «تحفة مظفريه لأوسكار مان وملحمة دمدم لعرب شمو/ ترجمة شكور مصطفى».

وفي إثر تجدد الانتفاضات خلال السنوات ٣٢-٣٨ من القرن السادس عشر اضطرت عشيرة السليماني إلى ترك ديارها والتوجه الى المناطق الحدودية مع كردستان إيران، لأن العشائر التي استقرت في تلك المناطق لم تكن تدفع الضرائب إلى الدولتين. ولعل هجرة عشيرة السليماني كانت فاتحة لامتناع العشائر الأخرى أيضاً عن دفع الضرائب الثقيلة. فعلى سبيل المثال أنه تزعم المدعو شاسوار الذي كان أمير لواء قلعة

بايزيد هذه الحركة ولم يعطِ السلطان درهماً. كما أن عشيرة السليماني ردت بهلول بك المرسل لجباية الضرائب على عقبيه وقوبل باستعمال السلاح حتى قتل، ثم خلفه نجله أميرخان ولكنه أساء التعامل مع عشيرته أيضاً فتجددت حركات التمرد ثانية فتصدى السلطان للتمرد قبل استفحاله بإعدامه أميرخان وأتباعه.

كان على عمر بك أخي أميرخان الذي ولي إمارة ميافارقين أن يدفع كل عام ١٢٠٠ كغم ذهباً وفضة لخزينة دياربكر ولكن السلطان محمد الثالث انتزع الإمارة منه فأعطى إبراهيم بك إياها وعمر بك هو الوريث الشرعي لها، فثار عمر بك ضد السلطان، إلا أنه لقلة قواته لم يستطع أن يفعل شيئاً فاضطر إلى القيام بأعمال التخريب وسماه البدليسي قاطع طريق.

وفي التمردات والانتفاضات الكوردية في هذا العهد أيضاً ثورة عشيرة بختي (بهتان) وهي تابعة للسلطة العثمانية. وإنما ثارت هذه العشيرة أصلاً احتجاجاً على فرض حكومة السلطان أميراً آخر على إمارتها. وحسب المصادر أن فرهاد باشا الوزير قبض العام ١٥٨٢م، ٦١٢هـ فلورينا من الأمير عزيز وفرضه على إمارة جزير إلا أن عشيرة بختي كانت تريد الأمير ناصر الوريث للإمارة فأبلغت فرهاد باشا أنه يتعين بموجب فرمان السلطان سليمان غازي أن تختار العشائر هي أمراءها، فهي لاتريد الأمير عزيز بل تريد الأمير ناصراً. وحسب الشرفنامه ثارت ثائرة الوزير فقتل الأمير ناصراً.

وفي إثر ذلك حمل إخوة الأمير ناصر الثلاثة شرف وعزالدين وأبدال السلاح وثارت العشائر الكردية في جزير جميعاً وفي مقدمتها عشيرة بختي (بهتان) ضد السلطان واستولت على جملة من القصبات والقرى فأضافتها إلى إمارة جزير. أما الأمير عزيز فقد ذهب إلى اسطنبول وفترت حماسة الموالين له فلم تتواصل المعركة سوى أربعين يوماً فحسم الموقف في النهاية لصالح عشيرة بختي.

لقد أثارت هذه الحادثة حفيظة السلطان مراد الثالث جداً فجرد جيشاً جراراً على جزير مكوناً من قوات أمراء الكرد بقيادة أمير أمراء إيالة الموصل حسين پاشا إلا أن الحملة لم تسفر عن نتيجة إيجابية للسلطان، إذ غلب فيها الأمير عزيز وأعوانه أيضاً بل قتل الأمير عزيز نفسه وهكذا فقد تواصلت التمردات وصار الأمير شرف أميراً على جزير وانتصرت ثورة عشيرة بختي.

ومن الأمراء الذين فقدوا إماراتهم الوراثية الأمير سيف الدين. فقد اغتصب السلطان سليمان غازي إمارته منه. وما كان من هذا الأمير حتى هب ضد حسين بك

المعين على إمارة سهران أميراً. ولكون أتباعه ملتفين حوله قلباً وقالباً انتفض ضد حسين بك رئيس عشيرة داسني وغلبه، فقتل من هذه العشيرة نحو ٥٠٠ شخص، مما استاء منه السلطان العثماني فجرد على الكرد الذين كانوا يتحركون بحريتهم فتعقبهم رجال السلطان مع قائدهم الأمير سيف الدين محاولاً احتلال ولاية صهران، غير أن محاولته باءت بالفشل، فاستطاع الأمير سيف الدين أن يحافظ على استقلال إمارته فغدا أميراً عليها.

كان قد اشترك في التمردات والانتفاضات جميع أمراء الكرد والعشائر والقبائل الكردية وكانت تنتهي أحياناً بالانتصار وأحياناً بالانكسار. ولكن المتحررين فيما كانوا يؤمِّنون لأنفسهم مستقبل إماراتهم من جهة، كذلك كانوا يهيئون الظروف لطغيان مسؤولي الدولتين العثمانية والصفوية واستبدادهم أكثر فأكثر.

لقد استطاعت بعض الإمارات الكردية أن تحافظ في القرنين السادس عشر والسابع عشر على استقلالها وتعيش بحرية نسبية. حتى إن هلوخان، أمير أردلان إنما أسس إمارة مستقلة حرة في العام ١٥٨٨م . فقد ذكر الشرفنامة أن هلو خان يدير شؤون إمارته اليوم من دون أي عائق (٧٦، ٨٩).

بناءً على طلب الشعب الكردي ألقي في السجن إبراهيم پاشا أمير أمراء دياربكر حوالي العام ١٥٩٣ فقتل عن يد السلطان محمد الثالث وعلقت جثته في ساحة اسطنبول .

وهكذا فإن الجماهير الشعبية كانت تشترك في التمردات والانتفاضات في القرن السادس عشر من كل قلبها، إلا أنها في الحقيقة لم ينجُ منها سوى رؤساء العشائر والقبائل الكردية فقط ولم تكن من أجل تأسيس دولة كردية مركزية بل كان الهدف منها حماية استقلال تلك الإمارات منفردة، وعدا هذا فإن هذه الانتفاضات لم تكن لتحدث في زمن واحد مجتمعة ككل في جميع الإمارات الكردية وإنما كانت تحدث في فترات متقطعة وفي أوان متباعدة هنا وهناك بصورة غير منتظمة. ولهذا السبب بالذات أفاد سلاطين آل عثمان من هذا الموضوع وعن أيدي أمراء الكرد أنفسهم.

وبغية قمع هذه الانتفاضات كان الباشوات العثمانيون أكثر ايغالا في الوحشية والقسوة وأشد إمعاناً في التقتيل والإبادة. فإن مراد باشا قويوجي إنما سمي كذلك لأنه ألقى بمئات من جثث قتلى الكرد من المرتفعات أو ملأ العشرات من الآبار منها. والأسم (قويوجي) يعني حافر البئر في التركية.

إن أهم جانب لهذه الانتفاضات العشائرية للشعب الكردي ضد التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية له من قبل سلاطين آل عثمان والشاهات الصفويين في القرن السادس عشر يكمن في أنها زادت من الشعور بضرورة الكفاح من أجل تحرير الشعب الكردي أكثر فأكثر واستحالت من بعد إلى ثورات عبرت عنها ثورة عزالدين شير تمرداً في الأساس على بدرخان باشا وتواطؤاً مع السلطة العثمانية وثورة الشيخ عبيدالله النهري و ثورة الشيخ عبدالسلام البارزانـــي وثورة الشيخ سعيد وثورة الشيخ محمود الحفيـد وثورة إحسان نوري باشا وثورة الملا مصطفى البارزانـــي الخالد الذكر التي أسفرت عما عليه الكرد من لفت أنظار الغرب، ولاسيما الأميركان والانجليز والفرنسيين من ضرورة حماية الكرد من الإبادة الجماعية في الأقل، على أيدي الطامعين في جزء من وطنه المسمى «كردستان العراق» ضمن وحدة الدولة العراقية.

أما حكام بابان كما جاء في الشرفنامة فإنهم، رغم كثرة الأشياع والأنصار ووفرة الشعائر والقبائل ينحدرون من الأمير پير بوداق «ببئي» المعبر مدلول لقبه عن لفظة بابان وإلى أخيه، الأبترين العقيمي النسل. انتقلت الحكومة من أسرتهم العريقة في الحكم إلى ملازميهم، إذ لم يبق فيهم ذو كفاية لتولي أمر الحكومة وتقلد زمام الرئاسة.

ويرى الاستاذ محمد جميل الروژبياني – طيبه الله ثراه – أن لفظة «بيئي» متطورة من «بابائي»، اللقب الروحي الخاص بالقديسين الكاكائيين – الذين دُعوا فيما بعد بأهل الحق، وهذا مرتبط بالشاعر القلندر الخالد «بابا طاهر عريان» الذي ولد في آواخر القرن الرابع الهجري وعاش في همدان وزاره طغرل في (٤٤٥ هـ) مع من زارهم مثل بابا جعفر والشيخ حمشا في جبل خضر. ولايزال مرقده مزاراً للأدباء والعلماء والشعراء، محاطاً بالدراويش الكاكائية دوماً. وله مقامات عديدة باللقب نفسه في لرستان وفي مندلي. وهذا اللقب عام لقديسي الكاكائية: باباطاهر في مندلي، بابا محمود في خانقين، بابا شاسوار في كفري، باوه قتال أو قرتال في علي آوا (قره حسن)، باوه جي في كويسنجق (نويَّة)، باوهيادگار في هورامان. وقد يلفظ اللقب «بابا وباوه وباوا» على السواء. ويذكر الأستاذ الروژبياني أن المرحوم العلامة توفيق وهبي بك سأله وأشعره عن منشأ لقب بابان فأجابه: بأنهم يرجعون إلى بابا أردلان. أما الادعاء بأن اللقب إنما اشتق من سليمان بيه فمنتهى السخافة والجهل. ومما لابد من الإشارة إليه أن كلمة أردلان المأخوذة من آردل بمعنى سائس الخيل، محرفة – حسب ماذكر مأمون بك بن منذر بك في مذكراته التي قدمها إلى السلطان مراد العام (

) كعريضة – من «عادل – عادلان» اسم الجد الأكبر للأردلانيين الذي لجأ الى شرقي كردستان من شماليها أيام حملة چنگيزخان المغولي (المذكرات ترجمها كل من الروژبياني وشكور مصطفى في السبعينيات إلى العربية ونشرها المجمع العلمي الكردي في بغداد).

لقد حكمت المنطقة خمس أسر بابانية، قبل الأسرة الأخيرة. أما ماقيل من أن السلطان العثماني لما رأى سليمان ببه وهو رجل عملاق، هابه، وقال: «واي ببمم» ونشأ هذا اللقب من ذلك، فليس غير صنع مخيلة المؤرخين العثمانيين. هذا ولابد من الإشارة إلى أن «بابان» – كما يظهر في كتاب نور الأنوار– وقد نشر فيه قسماً الأديب الباحث الكردي المعروف محمد الملا عبدالكريم المدرس، مترجماً الى اللغة الكردية، أن «الأمير حمزة بابان إنما كان يحكم مريوان، وقد حارب التراكمة (؟) أياً منهم الجلائريين، القرقويونليين والآق قويونليين ؟ وانتزع منهم كركوك وكفري ... فهذا الخبر إن دل على شيء فإنما يدل على أن البابانيين انفصلوا عن الأردلانيين في القرن الثامن الهجري.

إن البابانيين قد تتابع منهم الأمراء: بوداق بن الأمير أبدال والأمير بوداق بن رستم بك وپير نظر وسليمان وإبراهيم وبوداق بن حاجي شيخ وحسين بك بن سليمان بك وخضر بك بن الأمير حسن. ويذكر الشرفنامة أنه، قد دخل التأريخ الهجري عامه الخامس والألف (١٥٩٦م)، لاتزال هذه الولاية على هذه الحالة، ويعلق الأستاذ الروژبياني على هذه الفقرة قائلاً في الهامش، إن هذه الفترة لم تدم طويلاً، بل أعاد الرجل المسمى فقي أحمد الذي يظن أنه ابن بابا مير بن بوداق بك بن أمير بك بن الشيخ حيدر المكري أساس هذه الإمارة في أواخر القرن الحادي عشر للهجرة. ثم وسع حدودها ابنه سليمان ببه وتقلد زمام حكمها حتى العام ١١١١هـ (١٦٩٩م)، حيث دعي إلى الاستانة وربطت الأمارة بالباشا في كركوك. بيد أنه كان يتولاها أخوه تيمور بك وخالد بك مع ما كان يسودها من فوضى واضطراب حتى السنة ١١١٥هـ (١٧٠٢م)، وقد توفي عن ثلاثة بنين هم: خانه بك وفرهاد بك وخالد بك. ثم حل محله في الحكم أخوه بكر بك الأحمر (بكره سوور)، فوسع حدود الإمارة حتى سيروان، ديالى من جهة و زى كويه = الزاب الصغير من جهة أخرى. وبعد عهده، حصلت فترة، إذ قبضت الحكومة العثمانية زمام الحكم على البلاد البابانية وقد سبق أن انتهت آخر إمارة مستقلة العام ٩٤١هـ-١٥٣٤م كان يحكمها بگه بك، أيام احتلال بغداد في

العام نفسه من قبل السلطان سليمان القانوني وعهدت بها إلى المتسلمين العام ١١٢٩هـ (١٧١٧م)، إلا أن أخا باشا ناضل في سبيل استرداد زمام الحكم واستطاع تقلده بنفسه وإعادة الحياة إلى الإمارة البابانية السنة ١١٣٤هـ (١٧٢١م).

الهوامش:

(١) إسماعيل بيشيكچى، دوغو انادولونک دوزنى، سوسيو - ايكونوميک وإتنيک تمللر، منشورات E انقرة، ١٩٧٠. الطبعة الثانية، ص، ٧٢ - ٧٣ .

(٢) شمسي محمد اسكندر اوغلو، شرفخان بدليسينك «شرفنامه» أثرى كرد خلقنك تاريخى منبعى كيمى «علم» نشرياتى. باكى، ١٩٧٢. ص، ٤٨-٤٩.

(٣) شمسي محمد إسكندر اوغلو، نقلا عن الشرفنامة وغيرهم، ص، ٤٨-٤٩. و. د. محمد معين- فرهنگ فارسي، ج ٥، اعلام- آ- ع ص، ٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه. ويمكن إضافة الشبك والسارلية إلى هذه النحل أيضاً.

- إن كرد كردستان تركية، عدا العلويين والبكداشيين واليزيديين هم، كرد شوافع وكذا كرد سورية إلا القليل منهم عدا اليزيديين، وكرد أرمينية وآذربيجان أكثرهم يزيديون. أما كرد إيران فأغلبهم سنة شوافع عدا اللر والكلهر والبختيارية والملكشاهية واللك والدمبلية (ليس كلهم؟) ومنهم اليزيدية. وكرد العراق عدا اللر - الفيلية - الملكشاهية - اللك، والكاكائية والشبك والسارلية كلهم سنة شوافع.

(٥)، (٦)، (٧)، (٨)، (٩) شمسي محمد إسكندر أوغلو، ص ٤٨ - ٤٩.

(١٠) هكذا كانت حال الكرد مع محتلي وطنه الأم منذ أقدم العصور، وما أشبه اليوم بالبارحة!... يحرقٍ أحياء سكان قرية بكاملها في منطقة زاخو قرب صورا داخل كهف حشروا فيه عن آخرهم، ويقتل ٥٠ طفل وامرأة وطاعن في السن بتاريخ بالسلاح الكيمياوي عن يد النظام البعثي الفاشي وما يقرب من ٤٠٫٠٠٠ كردي عن أيدي الجنرالات الترك الكماليين الفاشست بذريعة أنهم إرهابيون، وما هم سوى أبناء شعب يريدون العيش في وطن أجدادهم الذي احتله الترك (١٤١٨م).

(١١) Bzil Nikitin, Kultur, Ozgurlukyolu, Bilim dizisi: 4 eilr: Mart- 1978,s. 10-11.

(١٢) Ismail Besikci, Dogu Anadolunun Duzeni, E yayinlar, Ankara 2. Basim, 1970.

ص، ٣٨ - ٣٩، الهامش ذو الرقم (٢).

(١٣) باسيل نيكيتين - الترجمة التركية، ص ١٣-١٤.

(١٤) باسيل نيكيتين، الترجمة التركية، ص ١٣-١٤.

(١٥) تاريخ الدول والإمارات الكردية، ص ٢٨.

(١٦) أنشأها محمد خدابنده اولجايتو في القرن الرابع عشر باسم سلطان آباد. جم جمال في سفح جبل بيستون.

(١٧) مربي الأطفال. عنوان كان السلطان العثماني يطلقه على الصدر الأعظم، رئيس الوزراء،

ويضاهي هذا «اتابك» مربي أطفال السلاجقة.

(١٨) قايتمازبك هو أخو أميربك موصللو، انظر ٤٧، ٣٢.

(١٩) يذكره بعض الباحثين بأسماء «الحكيم» «الملا»، «الشيخ»، «مولانا». كان الملا إدريس البدليسي كاتب ديوان حكومة الآق قويونلو، ثم انخرط بعد معركة چالديران في خدمة العثمانيين (انظر إسماعيل بيشيكچي:

Dogu Anadolunun kiduzeni, s. 79.

وهامش شمسي محمد إسكندر اوغلو؛ شرفخان بدليسينك «اثري كرد تاريخى منبعى كيمى، ص٥٧.

(٢٠) كانت إيالة كردستان في القسم الشرقي من سلسلة جبال زاغروس تشمل: همدان ودينور وكرمانشاهان ومن الغرب شهرزور وسنجار. وكانت هذه الأنحاء حتى القرن الثاني عشر تسمى جبال الجزيرة (عند المؤرخين العرب) أو (دياربكر). ويذكر حمدالله المستوفي في كتابه «نزهة القلوب» (القرن ١٤) أن هذه الولاية (عاصمتها بهار كما سبق) تحد من الشرق بعراق العجم إلى آذربيجان ومن الغرب بعراق العرب ومن الجنوب بخوزستان. وكانت تشتمل ١٦ قصبة تختلف درجات أهميتها بعضها عن البعض الآخر وهي: ١- آلانى ذات الإقليم الجميل والكثيرة الطرائد. ٢- أردهش التي كانت معبد النار للزرادشتيين قديماً. ٣- بهار. ٤- قلعة كوفتيان على شاطئ الزاب وفي جوارها عدد من القصبات. ٥- دربند تاج خاتون، وهي مدينة صغيرة. ٦- دربند زنگى الجميلة الإقليم، إلا أن أهاليها من قطاع الطرق. ٧- دزبل (دزفل). ٨- دينور المشهورة بغزارة كرومها. ٩- سلطان آباد (أنشأها محمد خدا بندة اولجايتو (القرن ١٤) في سفح جبل بيستون. ١٠- شهرزور (بناها كما يقول ياقوت الحموي زور بند ضحاك). ١١- كرمانشاه (قرمسين = گرمەسير). ١٢- كرند وقرى خوشان. ١٣- كنگور المسمى قصر اللصوص. ١٤- ماهيدشت أو مايدشت التي تحتوي ٥٠ مركزا سكانيا. ١٥- قلعة هرسين. ١٦- قصبة وستان.

لو تصفحنا المصادر الشرقية المختلفة لتوصلنا إلى أن كردستان إيران كانت حتى القرن الثالث عشر تابعة للإيالة التي سمتها العرب «الجبال». أما ما يتعلق بكردستان التي أخذت فيما بعد صورة كردستان تركية وبين النهرين وعراق العرب كانت تشمل الجزيرة أو بالمعنى الأضيق إيالة دياربكر.

وكانت كردستان إيران في عهد احتلال المغول تشكل منطقة زاگروس الجبلية. وفي عهد أخلاف جنگيزخان فقدت «بهار» أهميتها وحلت محلها سلطان آباد. وهكذا تحولت هذه المدينة الثانية إلى مقر لولاة إيران. كان رؤساء الكرد المحليون يتمتعون باستقلالية معينة. ثم أخذت هذه الإيالة الواسعة لكردستان بعد مجيء الصفويين في بداءة القرن الخامس عشر تصغر بالتدريج، فانفصلت همدان ولرستان عن هذه الإيالة، وفتحت الاراضي الواقعة غربي جبال زاغروس من قبل العثمانيين. ثم أطلق اسم كردستان أخيراً على منطقة سنه (سنندج) في كردستان إيران فقط. أما ما يتعلق بكردستان تركية التي ظهرت في الساحة بشكلها الراهن في أواخر القرن ١٧ فلم تكن تعرف الجغرافية الادارية للحكومة العثمانية سوى ثلاث محافظات منها: درسيم و موش و

دياربكر ولم تكن لتعترف الدولة العثمانية ولاتعترف تركية الحديثة بالكرد وتطلق عليهم اسم الأتراك الجبليين(*) . ولكن تعاظم الحركات القومية الكردية والحركات اليسارية التركية المتعاطفة إلى حد ما معها فرض الاعتراف غير الرسمي بواقع وجود الكرد على الحكومات التركية في تركية منذ السبعينيات فانعكس ذلك في تصريحات رؤسائها ومسؤوليها مثل سليمان دميرال وتورغوت أوزال وممثلي الأحزاب السياسية وعدد من أعضاء البرلمان ولعل دراسة الدكتور إسماعيل بيشيكچى القيمة بعنوان Dogu Anadolunun Duzni، نظام الاناضول الشرقية التي تعتبر نسبة الكرد حسب الاحصاء الرسمي للحكومة التركية (؟) للعام ١٩٦٥ على الوجه الآتي: (ص، ٣٧).

المنطقة	النفوس (بالالف)	المساحة (كم٢)	الكثافة السكانية
١٨ محافظة	٥ر٩٠٣	٢٢٠ر٧٧٥	٢٨
تركية	٣١ر٣٩٢	٧٧٤ر٨١٠	٤١
الشرق/ تركية	١٨ر٨	٢٩ر٩	

(*) باسيل نيكيتين، الكرد، الترجمة التركية، ج٢، ص ٥٦، ٥٧، ٥٨. وإسماعيل بيشيكچى. نظام الاناضول الشرقية (Dogu Anadulunun Duzeni) ودوريات Dogru s"2000.

(٢١) م.ي. شمسي، شرفخان بدليسينك «شرفنانه» أثرى كرد خلقنك تاريخى منبعى كيمى، نقلاً عن صولاق زاده (٩٨،٣٩٥، ٥٣، ٢٥٨).

(٢٢) المصدر السابق، نقلا عن اوروج بك (٤٦، ١٤٨).

(٢٣) المصدر نفسه، نقلاً عن كارل ماركس (١، ٢٠٦).